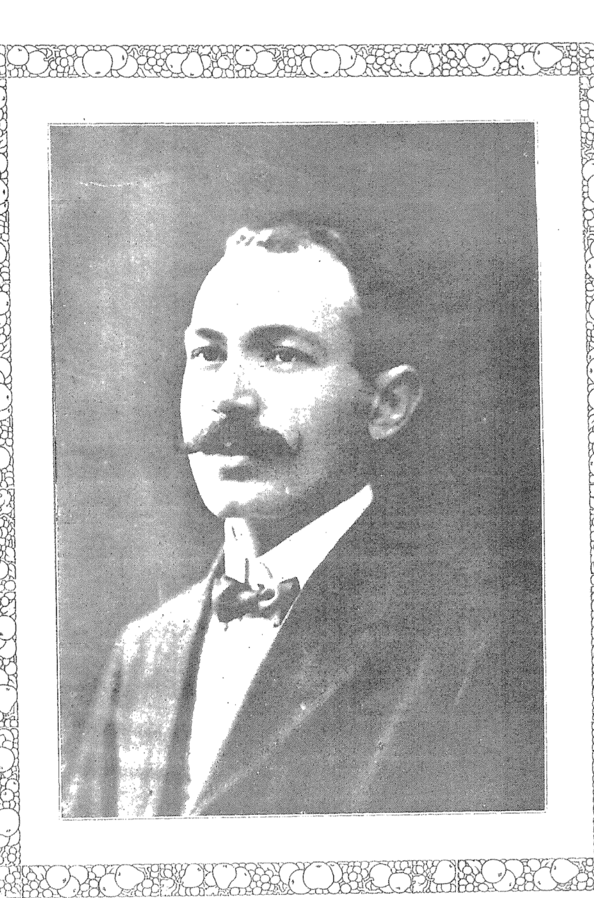




M. Kamel Haggag

محمد كامل حجاج



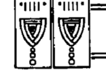
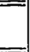
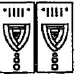
اهداء الكتاب

صديقي العزيز بطرس افندي يوسف المحامي

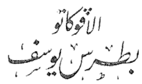
تعارفنا منذ تقابلنا في منتصف الطريق الذي قطعناه للآن من الحياة حيث جمعتنا معاهد العلم وهي اشرف وامتن مبنى للمودة بين الاتراب فآنست فيك الصراحة والاخلاص والتدقيق وعهدتك معجباً بآداب الغرب العالية كلفاً باعمالهم وفنونهم الجميلة . فترى انه من تكريم الحقيقة تجميلها وكمالها في تجميلها اذ لولا توخي الجمال في طلب الكمال لاستحال اتقان الاعمال واجادة البيان وترقية العواطف الفاضلة . والعلم الصحيح يعلي شأن الفنون الجميلة اعلاء لشأنه في الوقت ذاته باخراجه للناس في ابهى مظاهره ولما كنت من المشتغلين بطرف منها وعربت اخيراً هذه النخب التي هي من ابدع وابلغ ما قاله ادباء الغرب احببت ان ازفها اليك لتزدان بها خزانة كتبك وتكون برهاناً جديداً لمتانة صداقتنا القديمة

محمد كامل حجاج

M. Kamel Haggag

L'Avocat
BOUTROS YOUSSEF





بلاغة الغرب

احاسن المحاسن وغرر الدرر

من قريض الغرب ونثره

عربه من الفرنسية

محمد كامل حجاج

بالمحكمة المختلطة

Choix de poèmes lyriques
et prose d'auteurs français
avec leur biographie.

par

M. Kamel Haggag



حمداً لمن أنشأ الانسان . وميزه بفضيلتي النطق والبيان . ليترجم عما يوحيه اليه الشعور الشريف والوجدان . وصلاة وسلاما على نبراس العلم والعرفان . من خص بالحكمة وفصل الخطاب. وأوتي من جوامع الكلم ماسحر الالباب . حتى ساد قومه مجدا وفخراً . وان من البيان لسحراً .

وبعد فهذه نخب اقتطفها من معجز بلاغة الغرب لنرى معشر العرب ما احرزه الغربيون من قصبات السبق في مضمار التحرير والانشاء . ومالهم من سلامة الذوق وحسن التعبير في الوصف والاعراب عن الشعور والعواطف بما يحس به الوجدان دون كلفة

يقع شعرهم ونثرهم على الآذان كنغمات الموسيقى بما يشجي السامع من رقة الوصف وسلاسة التركيب وأوانس الالفاظ وغرر البيان وبعد الكلام عما تعقد من المعاني وخلوه من الخياليات المتشعبة والتنقل فيها بما يذهب

بالسامع كل مذهب فيركب متن الشطط ويصعب عليه الفهم فلذلك يعقله الفكر لاول وهلة دون امعان واجهاد قريحة .

وقد سلكت في تعريب هذه المقتطفات مسلك الامين حرصا على المعاني لابرازها بشرب الكاتب لنعرف أسلوبه وروحه في الانشاء وصفتها في قالب عربي سهل العبارة قريب التناول لازف الى الناطقين بالضاد عرائس نظم الغرب ونثره رافلة في الحلل العربية وعساني اكون اديت بعض الواجب الاجتماعي وخدمت الناشئة بعمل نموذج لهم للترجمة والانشاء ليجمعوا بين الاصل والتعريب ويعلموا كيف يسيرون فيه ويصوغون المعاني في القالب العربي اللائق بها والذوق السليم الملائم لها . وان ساعدني الحظ وصادف عملي نجاحا واقبالا من معشر قراء العربية شمرت عن ساعد الجد واستمررت في عملي هذا ناشرا اجزاءه تباعا كلما سنحت الفرص وسمحت اويقات الفراغ والسلام



Victor Hugo

فيكتور هوجو

كان القرن التاسع عشر طفلا في حوله الثاني حينما تمخضت الايام بمولود (بيزانسون) وهو ابن الكونت (سيجيسبير هوجو) من مشاهير القواد والكتاب الحربيين ثم طوحت به في كل شرق وغرب كحبة تذروها الرياح حيث تشاء .

نشأ من دم بريطاني ولوريني فأصبح هذا الصبي واسطة عقد شعراء القرن الماضي بل امام شعراء الغرب على الاطلاق [(١)]

ولما ولد في عام ١٨٠٢ كان القريض الفرنسي منحطاً تغلب عليه الضعف حتى كاد يودي به وقد مضى وقتئذ على قتل (اندريه شينييه André Chenier) الشاعر النابغة ثمان سنين فلم يبق من خيرة الادباء الا (شاتوبريان Chateaubriand) فانه أتى بنثر رقيق متين تزينه روح الشعر

---

(١) كتبت مجلة Je sais tout في عددها الصادر في ١٥ أكتوبر سنة ١٩٠٨ ان اثنين من محرريها كتبا الى المشاهير من النوابغ في العلوم والفنون الجميلة في جميع أقطار أوروبا يسألون كلا منهم رأيه عن الامام في الشعر والموسيقى والتصوير وفن وضع الروايات والعلوم فانتخب باغلبية الاصوات فيكتور هوجو في الشعر و بيتهوفن في الموسيقى و بلزاك في فن الروايات و باكون في العلوم

واذا استثنينا بعض الكتاب مثل(اندريو Andrieux) و (كولين دارلوفيلColin d'Aarleville) اللذين مهرا في الروايات التمثيلية من نوع (الكوميدي) والشعر البسيط المألوف فان الباقي من الادباء لايصلحون الا لنظم الروايات المحزنة (التراچيدي) التي كان يضرب الكل فيها على نغمة واحدة والملاحم [1] الساذجة والادوار المنظومة وغيرها مما تجرد جميعها من سحر البيان وغرر الابداع فكان نصيبها من القصاص ان طرحت في زوايا النسيان

وكان من بين الادباء في هذا العصر من يحسن الوزن وتأتيه القوافي طوعا ولكن نظمه خال من روح القريض (كدليل Délille) . ويقال انه كان يفتخر في أواخر أيامه بانه نظم في الابل اثنتي عشرة قصيدة واربعاً في الكلاب وثلاثا في الخيل وستا في النمور واثنتين في القطط وواحدة لكل من الشطرنج والنرد والضامة والبليار وعددا عظيما في الشتاء والصيف والربيع وغروب الشمس والفجر حتى ضل في عدها. ولما ظهر الجزء الاول من ديوان فيكتور هوجو المسمى (اود [2] وبلاد(Odes et Ballades) الذي بدأ به وهو في السادسة عشرة من عمره سنة ١٨١٨ -- سنة ١٨٢٨

(١) الملاحم جمع ملحمة وهي في اللغة الوقعة العظيمة التي يلتحم فيها الجيشان واصطلح عليها المتاخرون كابن خلدون وأطلقوها على المنظومات التي تمثل احوال أمة أو قوم وتفصل تاريخهم ووقائعهم الحربية

(٢) بحران من الشعر الفرنسي ففضلنا وضعهما بلفظهما

كان برداً قشيباً للبلاغة بعد ما بلي ثوبها وبدراً تماً في سماء البيان غاب لظهوره كل نجم ولم يكد يبلغ العشرين حتى ادهش الناس بحميته وحماسته وقوة خياله وغزارة مادته وطلاوة انشائه وانتظام وزنه وسلاسة تركيبه

وقد قويت وعظمت هذه الصفات في الاجزاء التالية من ديوانه وفيها (الشرقيات) سنة ١٨٢٩ و (اوراق الخريف) سنة ١٨٣١ و (اناشيد الشفق) سنة ١٨٣٥ و (اصوات الضمير) سنة ١٨٣٧ (والاشعة والظلم) سنة ١٨٤٠

وكما انه مهد للشعر سبلا جديدة وحل اصفاده [١] التي رسف فيها حيناً من الدهر فانه اتى بمعجزات المنثور وعنوان البيان وآية البراعة في كتابه (نوتردام دوباري Notre-Dame de Paris) سنة ١٨٣١ الذي جمع فأوعى من شتات اللغة فكان له القدح المعلى [٢] في دولة النثير كالنظيم

نظر الى فن التمثيل وقد هوى الى الدرك الاسفل من الحطة والعوز فصال عليه واستطال حتى هذبه ورفع شأنه وبعثه بعثاً جديداً

ومن مشاهير رواياته التمثيلية التي سارت بذكرها الركبان وسحبت على غيرها ذيل النسيان ولم تفارق للآن اعظم المراسح ما وضعها شعراً مثل (ايرناني) و (ماريون دولورم) سنة ١٨٣٠ و (الملك في لهوه) سنة ١٨٣٢ و (روى بلاس) سنة ١٨٣٨ و (ليبورجراف) سنة ١٨٤٣ وغيرها . وما

---

(١) جمع صفد وهو القيد

(٢) السهم السابع في الميسر وهو افضلها واذا فاز حاز سبعة انصباء من الجزور

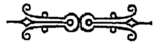
كتبه نثرا مثل (لوكريس بورچيا) و (ماري تودور) سنة ١٨٣٣ و (انجيلو) سنة ١٨٣٥ وغيرها وقد كتبها بنظم محكم السبك ونثر متين الحبك

وقد انتخب في المجمع العلمي الفرنسي سنة ١٨٤١ ومنح رتبة (پيردو فرانس) سنة ١٨٤٥ ثم خاض غمار السياسة الى ان صار رئيساً لحزب الشمال الديموقراطي وخطيبه الاعظم . ثم حارب ضد لويس بونابرت فحماته يد الاستبداد سنة ١٨٥١ الى بروكسيل حيث نفته هناك ثم انتقل الى چيرسي ومنها الى جيرنزي (وهما جزيرتان انكليزيتان في بحر المانش) ولبث في منفاه ثمان عشرة سنة ولم يرجع الى وطنه الا في سنة ١٨٧٠ حيث بر بقسمه بان لا يطأ ارضه ما قامت لعرش الملك قائمة

ولقد اسمده النفي بنفحات مدهشات البيان فراق له جو الخيال واوحت اليه الموجدة ببدائع البدائه واحاسن المحاسن فزف الى القراء من بنات افكار النظم والنثر ما خلب العقول وسحر الالباب فنظم كتابه الذي وسمه (بنابليون الصغير) وكتاب (العقوبات) سنة ١٨٥٣ فكان كافعى تنفث سما زعافاً فاغرة فاها نحو نابليون الثالث . ولم يجر يراع كاتب في الحقد والضغن بمثل ما اتى به قلمه في هذا الكتاب . ثم وضع كتاب (المشاهدات) سنة ١٨٥٦ و (سير القرون) سنة ١٨٥٩ وهو من ابلغ ما خطه بنان الشاعر. حشر فيها سير القرون الخوالي من اغاب الامم مما يدل على سعة اطلاعه في التاريخ واظهر فيها رقي الامم من طور الى طور وتدرجهم في الكمال ثم كتاب (البؤساء) سنة ١٨٦٢ وهو نثر وخير ما

كتب في درس الانسانية والحياة الاجتماعية مما تذوب له القلوب حناناً ورحمة وتذرف لهول بؤسه العيون الجامدة دماً وما لم يستطع كاتب ان يأتي بمثاله او ينسج على منواله و (عملة البحر) سنة ١٨٦٦ و (الرجل الضاحك) سنة ١٨٦٩ و (ثلاث وتسعون) وغيرها

ولما آب الى وطنه بعد سقوط المملكة وضع كتاب (العام الاسود) سنة١٨٧٢ ثم الحلقة الثانية من(سير القرون) سنة١٨٧٧ والحلقة الثالثة منها في سنة ١٨٨٣ و (تاريخ جناية) وقد ذكر فيه حوادث الهيئة الاستبدادية وغيرها من كتب تاريخية وفلسفية وقصصية ورسائل وافكار وخواطر وصار من رؤساء الحزب الجمهوري وكان يطربهم بخطبه الشائقة في العدل والانسانية والتقدم الادبي والاجتماعي الى ان توفى بباريس سنة ١٨٨٥ وهو في الثالثة والثمانين من عمره ومشى في جنازته الوف مؤلفة مما دل على عظم مكانته في قلوب قومه وتمجيدهم له



Napoléon II

نابليون الثاني (١)

سنة ١٨١١ : — عام وما ادراك ما العام ماجت فيه أمم لا يدركها الحصر وقد اضجرهم الانتظار وفني منهم الصبر . يظلهم غمـام مكفهر . مبتهلين الى الله ان يستجيب دعوتهم وينيلهم أمنيتهم

وكانوا يشعرون ان هذا الملك الواسع الاكناف المترامي الاطراف يميد تحت ارجلهم رعباً ويرتعد خشية ورهباً محدقين بابصارهم الى قصر اللوفر وقد زمجر فوقه الرعد حتى كاد يدكه كطور سيناء . مطرقين لجواد بصر بصاحبه يقول بعضهم لبعض ستتمخض الايام بمولود ذي شأن ينتظره هذا الملك العظيم ليليه ويأخذ بزمامه

ليت شعري ما الذي اعده الجـد لهذا الرجل الذي يفوق قيصر وروميه ومن سيضيف حظوظ البشر الى حظه فيسعدون بسعده ويشقون بشقائه

---

(١) هذه القطعة ترجمها المرحوم الفاضل نجيب أفندي حداد بعنوان (المستقبل لله) ولـكنها مخالفة كل المخالفة لهذه الترجمة واني اتوسل الى القاريء ان لا يتسرع بتوجيه اللائمة الي قبل ان يراجع الاصل الفرنسي

وبينما هم يتحدثون اذ انقشع الغيم المربدّ (١) واشرقت السماء رافلة في حلتها اللازوردية . يتلألأ في كبدها بدر هذا المولود الذي اختاره القادر ليقبض على صولجان هذا الملك الفخم. فما كان لهذا الشعب الصاخب (٢) الا ان صمت واستكان لظهور هذا المولود في عالم الوجود

نفحت ريح هذا الرضيع في قبة دار العجزة (٣) نخفقت فيها الاعلام المسجونة واهتزت كالسنابل حركتها الرياح . وكان صياحه الرخيم هو الذي اطلق من المدافع المتربعة ببابه اصواتها المزعجة

نفخت الكبرياء بعرنين والده الاشم (٤) . وكان مطبقاً بذراعيه على صدره ثم فتحهما . نحو طيده ابنه الذي تنبعث من عينيه انوار اضاءت ما حوله وارتد عنها كل طرف كليلا

***

ولما عرض الاب وارث عرشه على رؤس الاشهاد من أمم تابعة وملوك خاضعة هاجت به شجونه (٥) ونظر شزراً وازدراء لمن حوله من الملوك اذ لم ير غير ابنه كفؤاً لهذه المملكة الشاسعة كنسر حط من علٍ (٦) فوق قلة (٧) صائحاً مستبشراً بصوت ملوءه الكبرياء والعظمة: المستقبل لي

(١) المتكاثف (٢) من الصخب اي اللغط والجلبة (٣) دار عظيمة من الآثار المشهورة بباريس وبها بقايا نابليون الاول (٤) اي الانف المرتفع بحسن كناية عن الانفة وعزة النفس (٥) الهموم والاحزان (٦) اعلى (٧) قمة الجبل

وحدي وطوع بناني! كلا ثم كلا فالمستقبل ليس لأحد بل لله الواحد القهار ولا تمر ساعة الا وتودعنا الكائنات . المستقبل سر مكنون والارض وما عليها من مجد وسعادة وقوة وتيجان ونصر متنازع لطمع اشعبي حقيق. وهذه المنح كلها عواريُّ [١] كطير حط على دورنا فما هو الا لمحة ويطير

مهما بلغ المرء من الحول والقوة ومهما ضحك وقهقه او بكى واعول لا يستطيع ان يطلع على الضمائر والسرائر ولا ان يقضي على احد قبل اجله وساعته

*
* *

أيها الخيال الاخرس والطيف الملثم يامن هو اتبع لنا من ظلنا يامن يدعونك الغد

انما الغد حارت فيه الافهام . وضلت في مفاوزه الظنون والاحلام . يبذر الانسان السبب فينضجه القادر غداً فيستحيل من عالم الذر الى عالم الظهور والقوة . غداً برق محتجب . ونجم مستتر في السحب . وخائن يزيح اللثام. ومنجنيق يدك الحصون والمعاقل . وكوكب ينتقل من منطقته وباريس تتبع بابل . غدا تنوب [٢] العرش واليوم تحمله ! غدا جواد يخوض المعامع مرغياً مزبداً . غداً أيها الفاتح تلتهب موسكو في الليل الحالك

(١) جمع عارية وهو الشيء المستعار

(٢) نوع من الشجر يريد تحول عرشه بعد العبث به الى خشب عار مما كان يزينه من القطيفه

كالمصباح في يد المدلج . غداً تغطى جثث حرسك القديم السهول والبطاح . غداً واترلو . غداً القديسة هيلانة. غداً الرمس !

انك لتستطيع ان تطأ المدن بسنابك خيل فرسانك.وتحل مشكلات الحروب بصمصامك . وتسد نهر التاميز والنصر حليفك بحولك وقوتك . وتحطم الابواب المغلقة بسطونك وقدرتك. تملا بنشوة الظفر.يرنح عطفيك صوت نفيرك . ساحباً ذيل النسيان على كل صيت طائر

أمد الله في أيامك . انك لقادر ان لا تترك من الارض ذراعا . وان تنزع أوروبا من شارلمان وآسيا من آل سام ولكن هيهات ان يخضع لك الغد الى الابد

***

يا للنائبات الواعظات ! — لما أخذ شبل هذا الاسد تاج رومية بدل اللعب حتى ذاع شأنه . ولما أظهره أبوه للملأ وجبينه الملوكي يهتز دهشوا لعظمة هذا الصغير وهيبته

وقد ظفر والده لاجله بوقائع عديدة وفتوحات عظيمة فجلس بجانب سرير طفله مبتسما بادي البشر . وقد كان كبان يعرف كيف يؤسس بناءه اذ أجهز على الدنيا بضربة معول فأقبلت خاضعة طائعة حسب أمانيه

ولما أتم الوالد ما أعده ليمهد الطفل الحقير بالعظمة الدائمة . هيأ له قصراً وطيد الاساس متين الدعائم ليحفظ حياة ابنه من العوادي والغوائل

ولما ظمىء النسر وجد امام فرنسا كاسا مفعمة [١] بخندريس [٢] الامل وقبل ان يدني هذا السم المموه من شفتيه ويذوقه انقض فارس من القوزاق على الطفل انقضاض العقاب على الظبي وأردفه خلفه على الجواد وفر كالسهم قذفته القوس

وفي ذات ليلة كان المضرحي [٣] صافاً [٤] في القبة الزرقاء اذ اكتنفته ريح صرصر عاتية كسرت جناحيه فهوى الى الغبراء هوي الصواعق وانقضت عليه الذئاب الضارية عند وكنه تتقاسمه وتنهشه بانياب حداد . فكان من نصيب انكلترا القشعم [٥] والنمسا الهيثم [٦]

لم يغب عنك مافعل بهذا العظيم الهائل فقد زج به في أعماق السجون ست سنين وراء أفريقية والبحار

النفي ممقوت كافر! - كان هذا البطل العظيم متربعاً في قفصه منحنياً تلمس أسنانه ركبتيه . ولو كان قلب هذا الطريد خلواً لكان أنعم بالا . ولكن قلوب الآباء لهي قلوب الآساد اذ كان ابنه آخذاً بشغاف قلبه . ولم تبق له الدنيا الا ذخيرتين في عرينه صورة ابنه وخريطة الدنيا وبعبارة أخرى مرمى فكره ولبه وجميع قلبه

وفي المساء كان يسرح الطرف في مخدعه اذ كانت تدور في رأسه

---

(١) اسم من أسماء الخمر (٢) مملوءة لحافتها (٣) النسر العظيم (٤) من صف الطائر اذا بسط جناحيه في الهواء وسكنهما فلم يحركهما كما تفعل الحدأ والرخم (٥) النسر القوي (٦) فرخ النسر

الصلعاء أعماله وفتوحاته الماضية. وكان السجانون والديادبة له بالمرصاد ليل نهار ليقرأوا مايرتسم على جبهته من الفكر والآمال

ما كان يفكر ساعتئذ في ملحمة كتبها بظبة حسامه. اذ يصف اركول وأوسترلتز ومونميراي [1] . لا ولا الاهرام وباشا القاهرة وصافناته الجياد التي عضضن صدور خيله . لاولا الجال والمدافع التي لبثت تحت قدميه عشرين سنة واذكت الوغى بقتامها وسحبها السود. ولما هبت ريحها على هذا اليم الهائج كانت الاعلام الخافقة مائلة في الملحمة الشعواء

لا ولا مجريط [2] او قصر الكرملين [3] او الفنار . لا ولا موسيقاه تعزف في الصباح لا يقاظ الجند . لا ولا جنوده المعسكرة في السهول من خيل ورجل بملابسهم الحمراء كزهور ارجوانية نابتة في حقل من الحنطة

بل كان شغله الشاغل عسجد شعر طفله الجميل وورد خدوده وهو نائم مطمئن بفم يكاد ينطبق وهو كالشرق في بهائه وحسنه . وقد انحنت عليه مرضعه متهللة تلقمه ثديها ضاحكة .

رزح الوالد تحت اثقال همومه وشجونه وقد تيمهُ حب ابنه فأسند بمرفقيه الى كرسيه وهاجت بقلبه تأوهات مستعرة فتفجر الدمع من آماقه واسترسل على خدوده . —

(١) الوقائع الحربية التي انتصر فيها نابليون (٢) الاسم العربي لعاصمة اسبانيا المعروفة بمدريد (٣) كان هذا القصر مقرا للقياصرة بموسكو

بوركت [1] من طفل مسكين أثلجت شعوب رأسه . وانك وحدك القادر على تسلية ابيه وعزائه لملك ضاع وافلت من بين يديه

* * *

أناخ الدهر بكلكله على النسر وفرخه فالحقهما بخبر كان . فياله من زمان قاس ابتدأ بقهار الجبابرة . وغلاب القياصرة . ثم ختمه بعظام رفات نخره . وقد كفت عشر سنين لنسج اكفان الاسد وشبله

احتوى اللحد مجدا وصبا وكبرياء . والمرء يود لو يترك له الموت خلفاً ولكنه لا يسمع له نداء . وكل عنصر يرجع لاصله فالهواء يأخذ الدخان والارض الرماد والنسيان الاسم

* * *

ياالهياج والاضطراب الذي اجهله وانا احقر الملاحين اذ لا ادرك كنه ما يعمله القادر في الغياهب تحت اللجج [2] الهائجة الحاقدة عليك الهازئة بك . واسرار الخالق غامضة يضل فيها النهى . ليت شعري اهذه الامواج الثائرة . واصوات هذه الحفر المرة المزمجرة . وهذا التيار الدوار بمخاليه الهائلة . والبرق ولألأه . والرعد وقصفه ودويه . اليست اللهم صالحة لدرر البحار ؟

وهذه الانواء والعواصف المخوفة لترتعد امامها الخلائق من امير وحقير . ياللبم من اعمى اصم اضل من شعب ثائر هائج . وماذا ينفعك

(١) انتقال في الكلام والمتكلم الآن هو فيكتور هوجو (٢) جمع لجة وهي الامواج

نشيدك ياشاعري واغانيك التي يمليها عليك الخيال ويرددها الصدى في هذه اللجج الحائرة المضطربة وقد صمت آذانها فلا تسمع لك نداء ولا غناء ويذهب صوتك صرخة في واد

وانت ايها الطير المسكين الذي تتقاسم ريشك الرياح وانت تغني فوق زبد ذلك الجبار العتيد على سارية جارية [1] ضلت سبيل النجاة ! ليل طويل . وعذاب مستمر ! وسماء مكفهرة لا يرى بها ركن رائق . وقد اختلطت الاشياء بالناس اختلاط الحابل بالنابل [2] وهووا في مهاوي الفناء وابتلعهم الخضم الغشمشم فكانوا من المغرقين

كل من عليها من ملوك وامراء ونابليون العظيم والصغير طوتهم الارض في جوفها طي السجل للكتب ومحتهم كما تمحو اللجة اللجة . وكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام

Le Naufragé

الغريق

واأسفا للمرء المسكين تلعب به الكائنات والعوالم لعب الشمأل بالشجر. ثم تفترسه كالسنور يلاعب الفأرة ريثما تنبه منه شهوة الطعام ثم يمزقها كل

---

(١) سفينة (٢) مأخوذ من المثل العربي التبس الحابل بالنابل اي سدى الثوب باللحمة واما الواردة في المثل الآخر ثار حابلهم ونابلهم فمعناه الصائد بالحبالة أي الشبكة والرامي بالنبل ويضرب الاخير للقوم اذا تقلبت احوالهم وثار بعضهم على بعض

ممزق بانياب حداد واظافر كالاسنة . تصعقه الزرقاء[1] وتبتلعه الغبراء[2] ضعيف تعس منكود . ولدمحاطا بنحس يثقل كاهله . ويحني عاتقه . يسترشد عقله فيضله ويغره . وان أبرق له الالهام ببعض اشعة ضئيلة ليهتدي بها في حنادس ضلاله . ادركها القضاء الغامض فطفق يجالدها وتجالده حتى تنطفىء وتنعدم

أنعم النظر في البحر واعطف على رابية من الصفا ناتئة من الماء فوقها كوخ حقير لصائدي الاسماك . عرشه من بقايا السفن التي حطمتها الامواج الثائرة . يحيط به الماء احاطة السوار بالمعصم . وتضمه اللجج ضما عنيفا كالافعوان[3] يلتوي على فريسته ببأس حتى يكاد يهشم منها الاضلاع . تود لو تزعزع الصخر من مكانه لتفترس الصائد

انكمش هذا البائس الضعيف في كوخه فاصطلحت عليه الانواء والاعاصير فلم يستطع ان يبرح مكانه ليكدح لرزقه . عظم واتسع امامه المحيط لينصب له شراكه . اكفهرت السحب نخاف منها كل نسر قشعم . واسود من الفضاء الاهاب ثم اومض البرق وقصف الرعد وصفرت العواصف وهاجت الامواج وطفقت تحطم في جدار هذا المنكود . وما وراء هذا الفضاء وعظمته والليل وظلمته الا الحتف المميت

ماذا تفكر ايها الشقي البائس لتنجو من مطاردة هذه العوالم الحاقدة عليك وانت عدوها الالد . اتتخذ لك نفقاً في الارض ام سلماً في السماء .

(١) السماء (٢) الارض (٣) ذكر الأفاعي

اتراك تستطيع الصعود وقد حالت دونه العواصف والانواء وانى لك وانت ترتعد مكانك من هول المنظر . واني لا اخالك الا مقبوراً ضليلا طريداً . ليت شعري كيف تنازل هذه القوى العظيمة التي مالها من نفاد وانت اسير حفرتك

حسبك دفاعا مع العظمة التي أقبرتك فى كوخك وأهاجت عليك السماء وما حوت والارض وما وعت حتى اغبر وجه الكون عليك اسفاً واظلمت الدنيا حداداً . فاخضع ايها الغريق للقضاء واستسلم لهذا اليم الجبار العتيد .

وهذه الشمأل [1] العاتية التي أوشكت ان تقوض اركان مأواك . وهذا الوابل الذي كاد يجرف ذراك [2] . وتلك الغياهب التي تهلع لها القلوب . تبذل الوسع لحوك وفنائك . وهذا الليل المقبل بالويل . الذي ترتعد منه رعباً سيصب فوق رأسك الاعاصير الهوج [3] مع الظلمات. فاجمع اعضاءك والتصق بالارض وطأطيء رأسك لما يهب فوقها من العلى دون ان تسائل السماء المعتمة عن السبب . ودع الهلاك يسيل فوق أعضائك التي تثلجت من الهول . اذ لا قوة لك ولا حول

---

(١) ريح الشمال (٢) بمعنى البيت (٣) جمع اهوج ويقال إعصار اهوج وريح هوجاء وهى التى لا تستوي فى هبوبها وتقتلع البيوت

Pour le sable comme pour la femme il y'a une finesse perfide

ان للرمال للينا خائناً كلين النساء

يشاهد في بعض المواطن من شواطئ بريطانيا الفرنسية واسكتلندا ان المسافر أو الصائد يأخذ طريقه في مستنقع بعيد عن الشاطئ لا يكاد يظهر ماؤه على الصعيد [(١)] فيلاحظ بغتة انه منذ هنيهة يحس بثقل قدميه وان العراء [(٢)] تحتهما كالقار [(٣)] تلتصق به نعلاه. بيد انه لم يصادف بللا في طريقه ينذره بما يضمر له من السوء هذا الرمل الناعم الذي يفوق في الفتك خضراء الدمن [(٤)] وكلما خطا خطوة غارت قدمه قليلا وتركت أثراً لا يلبث ان يمتلئ ماء.نبع هذا الماء لينذره بسوء المنقلب ولكن أسبل القضاء على عينيه ستراً فلم يبصره . امامه الشاطئ الرحب سهل ساكن لا يفرق بين صلبه ورخوه فأخذ يواصل سيره ليبلغ الشاطئ . كاد يعتريه القلق . ولأي امر يقلق؟ غاية ماهنالك انه اخذ يشعر انقدميه تزدادان

(١) وجه الارض (٢) المكان المتسع الذي لاسترة به (٣) الزفت

(٤) مأخوذ من الحديث الذي ذهب مثلاً : اياكم وخضراء الدمن أراد بها (المرأة الحسناء فى المنبت السوء) والدمن جمع دمنة وهو ماتدمنه الابل والغنم من ابعارها وأبوالها فينزل عليه المطر فينبت كلأ قويانضراً لانه امتص هذه الاسمدة فتأكله الانعام فيضرها ويمرضها

ثقلا كلما خطا خطوة . وعلى حين غفلة يجدهما غائرتين في الرمل اصبعين او ثلاثة . أوشك ان يشعر الآن بضلاله فألقى عصا الترحال ليبحث عن الطريق الامين . ثم نظر فجأة الى قدميه فوجدهما غائصتين في الرمل . نزعهما راجعاً القهقري ولكنهما غابتا ثانية الى الكمين . تخلص وارتمى يسرة فأخذه الرمل الى نصف ساقه. انتشلهما وانطرح يمنة فغاص الى ركبتيه. تحقق الآن من ضلاله فسقط في يده وكاد يقطع سبابته من شدة الندم. عرف ان قد غره السراب. وتقطعت به الاسباب . فوقع في حبالة هذا الوسط الهائل الذي لا تثبت عليه الاقدام بل لا تستطيع ان تسبح فيه الاسماك . يحار الكاتب في تسميته . ليس ببر ولا ببحر . أخذ يفكر في سبيل للنجاة فرأى ان يطرح حقيبته كالسفين أخذها الموج من كل مكان فقذف الركب عرض البحر ماتحمله من كل مرتخص وغال لينجوا بأنفسهم . جعل يعالج النجاة وقد أعيته الحيل فابتلعه الرمل الى ركبتيه . طفق يصيح مستغيثاً مشيراً بمنديله ولكن الرمل مستمر في اختطافه . فان كان الشاطئ مقفراً . والديار بعيدة . وعدم النصير فقدحم القضاء وذهب صرخة في واد . فريسة لهذا القبر السحيق . مستمراً في هويه البطيء في جوف الارض التي لم تمهله وابتلعته واقفاً حراً في عنفوان صبوته وشرخ شبابه . كلما عالج وقاوم واشتد في صياحه وصراخه أسرعت الارض في ابتلاعه . بخل الثرى بالتعجيل بالتقامه ليترك له من الوقت مايكفيه لوداع هذا العالم ليزداد حسرة على حسرة ومصابا فوق مصاب اخذ يسرح الطرف فرأى امامه الافق والاشجار

والرياض الزاهرة ودخان القرى يتصاعد كالسحب وشُرُع السفن الماخرة في عباب البحر والطير الصادح والشمس المشرقة والسماء اللازوردية

***

وهذه الرمال لهي القبر خرج من بطن الثرى على شكل مستنقع خفي ليختطف الاحياء الاصحاء

يحاول هذا التعس الوقوف والقعود والاستلقاء بغير طائل . بل كل حركة يفعلها تزيد في غرسه . فيزأر كالاسود وينهب الارض بذراعيه من اليأس حتى اذا التقمه الرمل الى صدره رفع ذراعيه وزاد زئيره. ينشب اظافره في الرمل ويتكئ على مرفقيه لينسل من هذه الهاوية . ولا يزال الرمل حتى يصل الى كتفيه ثم الى عنقه فلا يرى منه الا الرأس . لم يبق منه الا الفم يصيح ويستغيث ولكن حنق عليه الرمل فألجمه وسده فلا تسمع له همساً ولا لمساً . بقيت عيناه تتوسلان بذرف العبرات ولكن سئم منهما الرمل فأقفلهما وصار يتخبط في ليل اليَل . بقي منه شعر يلعب به الهواء . ثم خرجت من الرمل يده واختلج بعض خلجات فاضت بعدها روحه فكان من الهالكين. وان هي الا هنيهة التأم فيها الرمل وعاد كما كان سوياً. وطوت الارض في جوفها بائساً كانه لم يك شيئاً

Un Peu de Musique

طرفة من الموسيقي

أرعني سمعك وانظر هـذا الغاب وأصخ [١] لتغريد الطيور في اوكارها المحجوبة عن الابصار وهـذه الجلبة تقترب منا من ضحـك واصوات ووقع اقدام منبعثة من اعماق هذه الادغال السحيقة وقد رمي البدر لألآءه الفضيّ على سوادها وفيها يسمع رخيم نغمات مزاهر جبال (انسبروك) التي تمتاز بجلاجل مقبضها التي ترن فيه حبة من الرمل فيختلط هناك صوت الانسان بهذه النغمات مما يحدث اشبه بلحن مبهم

هيا ان اردتِ ان نتيه في عالم الاحلام فنركب جوادين من حسان الخيل المطهمـة وانك لتجذبين اليك قلبي اذ أريد ان أنتشلك من بين أسرتك

نحن سائران يطربنا شجي شدو العنادل [٢] في هذا الغاب اذ انا سيدك وفريستك. فلنسافر فقداقترب النهار من الرحيل وسيكون جوادي الفرح وجوادك الحب وسيسيران جنبا لجنب ورأسا لرأس وسنطعمهما في رحلتنا هـذه الشائقة قُبَلاً بدل الشعير. وانهما يترافسان اذ يضرب فرسي برجله في احلامي ومهرك يرفس في كبد السماء ونحن في سفرتنا

---

(١) من اصاخ استمع وأنصت لصوت (٢) جمع عندليب وهو البلبل

هذه في حاجة لرحل يتركب من دعواتنا وسعادتنا وبؤسنا والزهرة التي في شعرك الجميل

خيم الظلام واسودت اشجار البلوط وقد ضحك منا الشحرور ساخراً من وسواس [١] السلاسل التي ربطت بها قلبي . وليس الذنب ذنبي ان لم تهمس الينا الادغال [٢] والاطواد ونحن سائران متكاتفين قائلة : فلنحب

كوني لينة حنونة فما ابهج الغاب المبال وقد نجيت [٣] اغصانه على اجمل شكل

ارى الفراش يتبع انفاسك الشذية . وطيور الليل الحواسد يفتحن عيونها المستديرة وقد اكمدها الحزن والحور [٤] وقد املن آنيتهن مبتسمات في المغاور متسائلات : (هل أصبنا في عقولنا) فهذان (لياندر [٥] وهيرو) اذ انسكب ما حملناه من الماء ونحن منصتات لحديثهما الشجي

(١) صوت الحلي او ما شاكلها (٢) الغابات

(٣) من نجوت الشجرة اي شذبتها وقلمتها

(٤) اخترنا لفظة الحور في ترجمة (Nymphes) واعتاد اغلب الكتاب على ترجمتها بالعذارى فلا يفرق القارىء بينها وبين الآدميات وهي في خرافات اليونان آلهة اناث جميلات كن يعشن في الغابات والمغاور وحول الماء

(٥) من خرافات اليونان ان شاباً من ابيدوس احبته هيرو كاهنة الزهرة الهة الجمال وغرق في ايلليسبون وصار يضرب بهما المثل في الحب

فلنعرج على النمسا ونستقبل سنا القمر بجباهنا وسأكون عظيما وانت غنية حيث و بطنا الحب بعرى متينة لا انفصام لها . ولنسر على الارض بمهرينا الجميلين ثم نطير في الفضاء بل في الاسرار بل في الذهل ! ثم نعوج بالخان ونقد صاحبه اجره من ابتسامك وناهيك بابتسام العذارى ومن سلامي وحبذا سلام التلميذ . وستكونين سيدة واكون (كونت) وسيفتح قلبي لما ستقصينه من الحديث كما تتفتح الزهرة من كمها ونحن نسامر نجوم الليل المتألقة

النغم شجي يتردد صداه تحت الخمائل [1] التي ازرقت من لألاء القمر ثم يضعف اللحن فينعدم النغم ويخمد صوت الصادح كطير حط وسكن صامتا

Puisque J'ai mis ma lèvre

اما وقد وضعت شفتي

اما وقد وضعت شفتي على كاسك الدهاق [2] وأسندت بجبهتي الشاحبة بين يديك فاستنشقت عرف زفير روحك الشذي الذي غيب في بطون الغياهب

وحيث أسعدني الجد بان تصيخي الى الكلمات التي بها تنكشف

---

(١) ما تكاثف والتفت اغصانه من الاشجار (٢) الطافحة بما فيهامن الشراب

اسرار القلب الغامضة ورأيت ثغرك يضحك فوق ثغري وعينك تبكي فوق عيني . وشاهدت شماعا يلمع فوق رأسي من كوكبك الدري الذي احتجب . وبصُرت بورقة من الورد نزعت من ايامك وسقطت في لجج حياتي . فالآن استطيع اقول للاعوام التي تكر : مري وسيري فلست اخاف الشيخوخة ؛ واذهبي بازهارك الذابلة فان لي في الروح زهرة ناضرة يعجز الكل عن اقتطافها. وان اصطدم جناحك بكاسي التي أرتوي منها فلا يُسيل منها شيئاًوان ملأتها حتى طفحت. وان روحي لكثيرة النار وانت خلو من الرماد . وبقايي من الحب اكثر مما عندك من النسيان



Alphonse de Lamartine

الفونس دولامارتين

نابغة من شعراء الفرنسيس ولد بماسون سنة ١٧٩٠ وبدىء بتهذيبه في قصر ابيه ببلدة (ميللي) تحت رعاية ام حنون لم ترد منه الا ان يكون مستقيما طيبا . وبعد ما أتم دراسته في معهد اليسوعيين خرج من بلده سائحا متجولا في ايطاليا وسويسرا سنة ١٨١١ ومكث فيهما سنتين الى ان سقط عرش الملك. ورجع فانتظم في سلك الحرس ثم ترك الخدمة عندما أسس (الريستوراسيون[١] الثاني) وبعد بضع سنين عاشها بلاانتظام وضع في سنة ١٨٢٠ كتاب (تأملات الشعر الاولى) التي أعلت شأنه ورفعته الى مصاف فحول الشعراء ونشر بعده بثلاث سنين (التأملات الجديدة) ثم (موت سقراط) و(آخرغناء الحج) و (شيلدهارولد) وفي سنة ١٨٢٩ ظهر مؤلفه (الانسجام الشعري والديني) وفي سنة ١٨٣٠ انتخب في المجمع العلمي الفرنسي وبعد ماتجول في الشرق بترف ورفاهية عين نائباً في مجلس النواب فلعب دوراً عظيماً في الخطابة والشعر ولشهامته وعلو أفكاره تبوأ منه المحل الارفع

---

(١) هو مدة حكم أسرة البوربون من سنة ١٨٢٤ لغاية سنة ١٨٣٠ والثاني منه هو المدة الاخيرة

ثم وضع تباعا (رحلة الشرق) سنة ١٨٣٥ و(چوسلين) سنة ١٨٣٦ و (هبوط ملاك) سنة ١٨٣٨ و (التفرغ للقريض) سنة ١٨٣٩ ثم عرج على التاريخ فوضع كتاب (الجيروندبين)[1] سنة ١٨٤٦ وان كان كثير الخياليات لكنه آية في البلاغة ومن الكتب الخالدة

وبعد قليل كان في رأس الحركة الثورية ولما أسست الجمهورية الثانية كان عضواً في الهيئة الحاكمة المؤقتة ووزيراً للخارجية . وقد حازت الخطبة التي القاها في ٢٥ فبراير ضد الثورة استحساناً وشهرة

ووجد نفسه في ١٥ مايو عاجزاً عن مقاومة الجمعية العمومية وقد أجهزت عليه ايام شهر يونيه فلم يحز في الجمعية التشريعيه الا انتخابا جزئياً ثم أبعده استبداد شهر ديسمبر عن السياسية نهائياً

وأشهر مؤلفاته بعد سنة ١٨٤٨ (المسارّات) سنة ١٨٤٩ و(چينفييف) و (نحات احجار سان بوان) سـنة ١٨٥١ و (جرازييلا) سـنة ١٨٥٢ و (دروس علوم الادب) سنة ١٨٥٦

وكانت اواخر ايامه كلها بؤساً متواصلاً وعاقبه كده واجتهاده بالفقر المتواصل والجأه نكد الايام لان يقبل من الحكومة الملوكية ٥٠٠٠٠٠ فرنك هبة يعيش من ريعها سنة ١٨٦٧ ومات بعدها بسنتين سنة ١٨٦٩ في دار بپاسى (من ضواحي باريس القديمة) التي منحها من مدينة باريس وكان كتابه (تأملات الشعر الاولى) لفرنسا شعرا جديداً خرج من

(١) حزب سياسي ظهر مدة ثورة سنة ١٧٨٩

صميم فؤاد الشاعر حاويا لدقة الصناعة وحماسة اللهجة وسلاسة النظم ترجم فيه عن انفعالاته وآلامه غير ماحوى من المباحث الفلسفية والدينية. اما كتابه (الانسجام الشعري والديني) فيعوزه كثير من صفات السابق . ولقد بهر الناس بكتابه (جوسلين) وهو رواية نظمية من ابدع ما كتبه وان كان انتقد في بعض مواضع منه لتقصير في صوغ القريض فان عدداً عظيماً من صفحاته كان نموذجا للنظم ومثالاً للبلاغة والفلسفة . واما مؤلفه (التفرغ للقريض) فان العيوب تشوبه من كل ناحية وهو غزير المادة عظيم الفكرة ولكنه ضعيف الصياغة وبه بعض قطع رقيقة العبارة دقيقة الاشارة

وقد انتقده احد الادباء العصريين (المسيو لانتيلاك) في كتابه (علوم الادب الفرنسية)فأنحى عليه بمر الانتقاد ولكنه مصيب في رأيه حيث قال : « كان لامارتين نائباً وخطيباً ولكنه ليس بالرجل السياسي وكان في آخر عهده بمجلس النواب يجلس بينهم وكأنه في عالم آخر ويتكلم ويذهب قوله من النافذة ادراج الرياح. ومؤرخا وليس من فرسان ميدان التاريخ وروائياً كثير التكلف دون ان يكون له صفة في الفن ومنتقداً وليس للانتقاد اهلا وناثراً ولم يوهب سلامة الذوق في النثر ورغماً عن تقلبه في جميع هذه الفنون فانه لم يتقن غير صناعة القريض التي امتاز بها وحدها وبرز فيها على الاكثرين من فحول الشعراء

Le Chien Du Solitaire

كلب المنفرد

لهفي على من يلج داره القفرة الموحشة ولا يرى عند اقترابه نافذة مفتوحة او تحدثه نفسه بمن يلقاه عند قدومه بالايناس والترحاب او يحفل به من اخت او حليلة او أم يرقبن عودته رقبة الاعياد ويستطلعنه بالطلائع والرواد ويعددن خطواته ويتهللن بشراً وفرحاً عند اقباله حتى تكاد جدران البيت تنتعش وتدب فيها الحياة لتكلأه [1] بصنوف الوقاية والحنان

شتان بين سعادة هذا وشقاء وحيد منفرد يدخل ذراه صامتا فلا يسمع وقع خطوات تلقاه او صوتا يرن في أذنه او يجد فرداً يشاطره آلامه ويقاسمه شجونه غير هذا الكلب الودود القديم الذي ينبح حينما يسمع خطاك . ولا قلب يفكر فيك وينتظر مجيئك سواه

وعينه التي تشاهدك في حلك وترحالك وان كانت لا تستطيع البكاء لكنه حينما يراك باكياً يفهم حالتك فيكاد يتفطر منه القلب رحمة وحنواً لك. لا يرفع عينه من مرمى نظرك ولا يحولها عنه وان غبت اصبح حائرا يقلب طرفه في انحاء البيت كأنه ينشد ضالة . وان هـذا ليأخذ بمجامع القلوب بيدانه من الغرابة بمكان

---

(١) من كلأ كلاءة حفظ ورعى الشيء

ايها الـكاب الامين ؛ ان الله يعلم ما بيننا من البون الشاسع والفرق البيِّن بين الهامك وعقل سيدك وهو وحده الذي يدري سر ارتباطنا حياتك في النظر الى سيدك وموتك في موته . واي شفقة وحنو منحتهما من الخالق حتى انك لتحب من يكرههم جميع الناس

وان كنت ايها الحيوان راقداً في مواطىء النعال فلا اذكر ان قدمي مستك يوما ما احتقـارا كما انى لم ازجرك قط بكلمة تجرح حنـانك ورأفتك . لم ارغب عن ملاطفتك او امل منها وما برحت محترما طيبتك واخلاصك اللذين لا يوصفان . وحامدا الخالق على هـذه المنحة التي اودعها فيك وجملك بها

وكما ينبغي لنا ان نحترم احقر مخلوقات الله اجد منك بجامع الخلقة والعواطف الشريفة مخلصاً وصديقاً حميما

وحينما تقع عينك على عيني تتناجى النواظر وتترجم عن القلوب . وان الم بي السهاد. وتجافى جنبي عن الوساد .وانت بجانب سريري بالمرصاد. يكفي لأيقاظك نفس مضطرب مني

تقرأ شجوني في عيوني الـكسيرة وتبحث عن همومي في ثنيات اسرة جبيني وتجتهد في تسليتي بمداعبتي عاضاً بلطف يدي المتدلية بجانبك

وعينك كالمرآة الرائقة اذا واجهتها لا يلبث ان يرتسم فيها حزني وفرحي . ونفسك شريفة عالية وحبك لا تدركه العقول

لست في القلوب شيئاً وهمياً تحتقره العواطف او جسما حياً تحركه

الملاطفة . يخدع الناظر بحركاته وتصنعه الوداد والرفق

وحينما تنطفىء هـذه العواطف الشريفة من عينك لا أعلم في اي سماء تنشر وتحشر . ولا ريب ان الانسان والنبات لا يموتان وتنعدم منهما الروح بل يميتهما الخالق زمناً ما ليبعثهما بعد امد ويجمع بين الارواح واجسامها. وقدرته عظيمة تسع جميع الخلائق وستتحابُ في الاخرة كعهدنا في الدنيا

ومهما كان البون [١] عظيما بين الانسان والعجماوات والنباتات فان الحب المتبادل بينه وبينها سيخلد ولا يتغير في الدار الاخرة . كما ان القادر لا يطفىء نوره الذي يتلألأ في نجوم الليل الشائقة . وكذلك نظر هـذا الـكلب الاندلسي الفاتر الذي يشف عن الحنو والشفقة والامانة وهو الذي كان يقود الاعمى الفقير وأودى حزناً على لحده

تعال ايها الصديق الحميم الذي يأنس ويطرب من وقع اقدامي وانا داخل البيت . ولا تظن اني سيحمر مني الوجه خجلا امام الخالق لحبي لك . هيا جفف مدامع عيني المغرورقة بلسانك . وأدن قلبك من فؤادي لنتمتع بحبنا ونثمل برحيقه

---

(١) الفرق

L'Isolement

العزلة

طالما كنت أجلس في الجبل تحت ظل شجرة من البلوط وقد خيم الحزن على صدري فكنت أسرح الناظر في السهول التي نشرت امامي احاسن محاسنها يتلو بعضها البعض وقد اخذت زخرفها وازينت وأنبتت من كل زوج بهيج . وقد آذنت ذكاء بالغروب مرتدية حلتها الصفراء تعلوها الكآبة . ولا ادري ان كان ماألم بها توجعاً ورحمة لي أو من ألم البين والفراق

امامي النهر يزمجر بأمواجه الزاخرة المزبدة . وينساب كالافعي وسط الرياض . وهناك البحيرة الساكنة كالمرآة الصقيلة . وقد ارتسم كوكب المساء على صفحات الماء . وكانت الجبال التي تحوطني متوجة بغابات قاتمة رمى عليها الشفق أشعته الاخيرة

لم تك هذه المناظر الجميلة لتروقني أو تنفحني ببعض سرور ينعش القلب . بل كنت اشاهد الارض كظل متنقل . كما ان شمس الاحياء لاتدفئ الاموات

كنت انقل الناظر من اكمة لأكمة ومن الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب فلم أظفر بهناء يخفف مابي من ألم الكآبة والوحشة

ماذا تفيدني هذه الوديان والقصور والاكواخ التي لا اعبأ بها اذ

لا اجد فيها ضالتي المنشودة . وما كانت لتشرح صدري هـذه الانهار والصخور والغابات مع ما انا فيه من الانفراد والعزلة . وان غاب عن عيني عزيز واحد فالدنيا بأجمعها تكون امامي قفرة موحشة

لا احفل بشمس تتبعها عيني في مسيرها من الشرق الى الغرب جارية في سماء صافية او مكفهرة اذ لا انتظر شيئاً من الايام

وان استطعت ان اتبعها في مجراها لكنت أشرف على الجو والصحاري ولكني لا ارغب في شيء من جميع ماتنيره ولا اطلب امراً من هـذا العالم العظيم

ولكن ربما كان بعد هـذا الكون عالم آخر تضيئه الشمس وتظله سماء اخرى . ولو تسنى لي ان اترك جثماني في الارض واصعد بروحي الى السماء لانظر بعيني ما اراه في الاماني والاحلام . فهناك انتشي من رحيق المنبع الذي آمله واجدما أتطلبه من الامل والحب وهـذا غاية ماتشتهيه الانفس وليس له اسم في المقام الدنيوي . فلم يعد ذاك امكث في الدنيا دار النفي اذ لاعلاقة لي بها ولا شأن لي فيها .

مثلي كمثل الورق الذابل حينما يتساقط من الغابات في المروج فتحمله الريح الى الوديان فاحمليني مثلها ايتها الشمأل العاتية !

L'Automne

الخريف

سـلام ايها الغاب المتوج ببقية من الخضرة ! وقد اصفرت منك الاوراق وذبلت فتناثرت على العشب . سلام ايتها الايام الاخيرة من دولة الجمال والهناء ! واني ليروقني النظر الى حداد الطبيعة على محاسنها التي انقضت وفاتت اذ أجرّع ماتجرّعه من الالم . وبودي لو انظر النظرة الاخيرة لشمس باهتة تكاد اشعتها الضئيلة تنير ما تحت قدمي من ظلمة الغاب وفي هذه الايام من الخريف التي تحتضر فيها الطبيعة أجد في نظراتها التي يغشاها الموت ارتياحاً وابتهاجا . وان هذا لوداع من حبيب وابتسامة اخيرة من شفتين اقترب منهما دبيب الموت ليطبقهما اطباقاً لا انفتاح بعده

وحريٌّ بي وقد كدت اتأهب لفراق افق الحياة باكياً اياما طوالا واملا لم ادركه ان ارجع على عقبيّ واشاهد بعين ملؤها الحسد نعماً لم اتمتع بها

ايتها الطبيعة الجميلة الحلوة بأرضها وشمسها ووديانها لك عندي دمعة اؤديها وأنا على شفا الرمس . فالهواء يتضوع نشره والضوء زاهٍ نقي والشمس تحلو وتجمل في عين المائت

اني اود ان لا أبقي في هذا الكم [١] قطرة مما امتزج فيه من الرحيق

---

(١) غلاف الزهرة الذي يحيط بالازرار قبل تفتحها ويقصد به هنا الشاعر عينه ويود لو يستنزف منها دمعها

ومرارة العيش . ولكن ربما بقيت في هذه الكاس التي شربت منها الحياة قطرة من العسل . او ينظر الى المستقبل بعين عنايته ويرجعني الى السعادة والهناء. اللذين خاب فيهما الرجاء . او اجد بين هذه الجموع روحا لا اعرفها علمت جليّ حالي فاقبلت لتنيلني مناي

وحينما تسقط الزهرة تردطيبها الى الصباوحياتها الى الشمس وتودع الدنيا بين يديهما بينما اموت وروحي وهي في النزع يسمع لها نغم شجي تذرف له العيون وتخفق منه القلوب

Un Village des Alpes

قرية من جبال الألب

يرى الناظر جبال سافوا الشواهق وقد اكتست بحللها السندسية وتجلببت برياضها الأريضة الغناء وسد الصخر مسالكها فلا يشاهد فيها الانسان غير المهاوي التي ترتعد منها الفرائص وتقشعر منها الجلود اذ يرى نفسه معلقاً في الفضاء فوقه السماء وتحت قدميه مهوى سحيق تهلع من هول رؤيته القلوب

لم يترك الصفا محلا للطين الا الصدوع [1] فتكاد تنشب فيها الاشجار جذورها والبزور شطأها وقد عظم بهذه المواطن القسطل ورسخت اصوله

---

(١) الشقوق

في فروج [١] الصخور وتدلت افنانه فوق المهاوي السحيقة المظلمة . وانتثر فيها المنثور وتضوّع شذاه

ترى ما استوى من اعالي الجبال وهي في لونها الازرق ومسالكها البيضاء وعلى كثب منها حقول البُر على وشك الحصيد وقد أزرت صفرته بالمسجد والغابة الحالكة وهي وسطه كنقطة من العنبر في صحيفة من الذهب وانعكست الوان السماء على صفحات ماء البحيرات وهو في سكونه كماويّة [٢] الحسناء وقد نبت تحت ظلال القسطل [٣] الوارفة الكلأ [٤] الاخضر الغض فترى سوقه التي قرضتها ثنايا الغزلان والاروى فغلظت واخشوشن زغبها وتخلله قطر الندى كمنثور الدرر او دمع العاشق

وفي فصل الربيع وهو اقصر من ابتسام البرق يثمل نسيمه من اريج وروده وازهاره وقد احاطت بالافق جبال من الثلج بيضاء ناصعة تأخذ بالابصار كقوارير البلور وحينما تهدأ العواصف وتظهر قمم الشواهق ترى السماء صافية لابسة ثوبها اللازوردي

وفي هذه العزلة لاتسمع الا اصوات الصبيان وخوار العجول وصوت الجلاجل المعلقة برقابها فترن من قفزاتها وطفراتها وخرير السيول المتحدرة من اعالي الاطواد مما ينساه السمع لكونه اعتاده وألفه. وهذه الاصوات بمجموعها اشبه بصوت صادح لا ينقطع غناؤه الجهوري الرنان

---

(١) بمعنى الصدوع (٢) المرآة (٣) المعروف عند العامة بأبي فروة (٤) الحشائش والاعشاب

وانتثرت الاكواخ تحت الاشجار في ظلها الظليل من غير نظام ولا ترتيب وكانها نبتت كما تهوى مع هذه الغرائس . وترى اهلها المساكين يتقاسمون بينهم الدعة والسكون. راضين بعيشهم الهنيء وكل يمرح تحت ظل شجرته وامامه حقله. فتراه في الصباح على باب داره وفي المساء داخلها وقد اكتنفهم الصفاء وخيم عليهم الهناء

A une Fleur séchée dans

un album

زهرة جافة في كتاب

عاودتني الذكرى فتذكرت يوما اختلسناه وذهبنا الى شاطىء البحر وقد رقت وراقت السماء ولم يشب صفاءها غيم ولا اعصار. تظلنا شجرة من البرتقال كاسية من زهرها الابيض الناصع تضوعت رياها فشملنا من عرفها الشذي

امامنا بحر ازرق يعب عبابه ولا يرى له ساحل وكانت ازهار البرتقال المتناثرة تهاوى على رأسي وتجللني كمطر من الثلج . وقد جلل الكلأ الارض ببساطه الاخضر وتخللته ازهار جميلة متنوعة ينبعث منها عبق لطيف عطر الارجاء والاندية ينشره

ايتها الشجرة النابتة بجانب المعبد الدارس الذي بطش به كر الغداة ومر العشي . لقد توجت هذا العماد بافنانك النضرة وازدان هذا الطلل البالي بزهرك المونق . ولقد قطفتك ايتها الزهرة البديعة البيضاء ووضعتك فوق صدري لانتعش من استنشاق طيبك ونشرك . والآن وقد انقضى ذاك اليوم بسمائه ومعبده وبحره وشاطئه وحملت السحب عرفك وسارت به الى حيث تشاء اجد وانا اقلب صفحات كتابي رسوما عفت واثارا درست من يوم جميل هنيء



Alfred de Musset

الفريد دوموسيه

نادرة من فحول شعراء الفرنسيس ولد بباريس سنة ١٨١٠ ومات بها سنة ١٨٥٧ وهو ثاني انجال (موسيه پاتى) تعلم في كلية هنري الرابع فكان من اقرانه فيها (الدوق دورليان) وبعدما تردد بين الحقوق والطب والرسم والموسيقى انقطع لعلوم الادب

وفي الثامنة عشرة من عمره الحق بالمعهد الادبي عند (نوديه) وكان مخصصاً للمذهب المطلق [1] فوضع بعد دخوله بسنتين كتاب (قصص اسپانيا وايطاليا) سنة ١٨٣٠ فكان له استحسان عظيم و (دون پايز) و (الاندلسية) وقصيدة في القمر وغيرها فكانت من نفثات اقلامه وهو في شرخ شبابه مما سحر الناس برقته المتناهية في الشعر ورشاقته البديعة في صوغ القريض حتى نهض بالمذهب المطلق ورفع شأنه

وقد حلى طروس (مجلة باريس) ببدائع رواياته مثل (ادعية لا تجدي) و (اوكتاف) و (فكر رفاييل السرية) ثم ظهرت رواياته

(١) من ضمن اقسام الشعر الفرنسي قسمان عظيمان : المقيد (Classique) وهوما تقيد بما سنه القدماء من شعراء اليونان واللاتين والمطلق (Romantique) وهو مالا يتقيد بشيء وهو عكس الاول

التمثيلية (ليلة في فينزيا) و (منظرفي كرسي) سـنة ١٨٣٢ و (الـكأس والشفتانـ) و (فيم تحلم الفتيات) رواية لطيفة و (شجرة الصفصاف) مرثية و (ناموناً) قصيدة طلية بلهجة تهـكم رقيقة

وعلاوة على اقتداره النادر في بث تأوهاته التي تـكاد تسمعها من بين سطوره فانه كان يجاري بعض الشعراء في مذاهبهم لاسيما (بيرون) الشاعر الانكليزي المشهور ونخص بالذكر (رولاّ) سنه ١٨٣٣ فانها من اسلوب الشاعر السابق ولها رنة مؤثرة تخم فيها الهيام

ثم اصابته نوبات وقلاقل حولت ذكاءه من طـور الى طور ارقى منه سببه له الحب اذ احب (جورج صاند) الروائية الشهيرة واحبته وسافر معها في شتاء سنة ١٨٣٣ الى ايطاليا متنقلا بين جنوه وفلورنسا وبولونيا وفيرار ثم ألقى عصا الترحال في فينزيا وهناك شجر بينهما خـلاف شديد افضى الى الانفصال بسبب انقلابها وخيانتها عهـده . فرجع الى باريس وحـده في ابريل سنة ١٨٣٤ وقد انهـكته الشجون وتيه الهوى المبرح وسحقته هذه التجارب ولـكن كان لها الفضل لـكونها صيرته شاعراً مجيداً من اوائل الشعراء كما اشار بذلك في عرض كلامه في قصيدة (ليلة من تشرين الاول) حيث قال :

« وقصارى الـكلام ان بليتك هي التي أنارت قلبك فالفادحات والأوصاب بمثابة المعلم والانسان كالطفل المتعلم وبقدر الرزايا تـكون المعارف . وانها لشرعة قاسية ولـكنها حكمة بالغة قديمة كالدنيا ونـكدها »

ومن سنة ١٨٣٥ الى ١٨٤٠ ظهرت معجزات قريضه ونثره وصوت آلامه في الحب والشك والسلوان وهي (لياليه الاربعة) التي سارت بذكرها الركبان: (ليلة من ايار) و (ليلة من كانون الاول) و (ليلة من آب) و (ليلة من تشرين الاول)

ففي الاولى يبكي (موسيه) من خيانة حبيبته ويعرض عن الطيف الذي يدعوه الى الغناء. وفي الثانية يبحث في العزلة عن شفاء آلامه واوصابه. وفي الثالثة يعاود قسمه بان لا يفتح قلبه للحب. وفي الرابعة يزعم انه طاب ويود ان يقص اخبار آلامه التي يدعي انه بريء منها ولكنه عندما سردها كادت تجهز عليه وطأة الانفعال فاخذ الطيف عليه موثقاً بالغفران والنسيان

وهذه الليالي مع (رسالته الى لامارتين) و (تذكار) هي التي رفعته الى مصاف فحول الشعراء الذين يشار اليهم بالبنان. ولم يلهم شاعر غيره ان يوفق للاتيان بمثلها ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً

يأخذ العجب القارئ لم خص هذا الشاعر وحده بهذه الهبة الجليلة؟ هذا لانه احرقه الجوى وبرى اعظمه الهوى واذاب ماعلى فؤاده من الحجب فاستنار بنور الحب عقله وجنانه فكان يعبر عن وجدانه وشعوره كما يصف الناظر المرئيات. وغيره لم يجمع بين الوجد المبرح والبلاغة الساحرة فتراه مهما كان مقتدراً على القريض وحاول ان يصف الهوى فانه لا يصفه الا وصفاً خيالياً سمجاً تمجه الاذواق وتزدريه الاذهان

وبعد (الليالي) ظهرت قصيدته (الامل في الله) ورواية قصصية كبيرة كتبها نثراً وسماها (اعتراف طفل من ابناء الجيل) سنة ١٨٣٦ سرد فيها الشاعر وقد قارب الشفاء ما انتابه من مضض الآلام ثم (نعمة طيبة) وهي بديعة النظم شائقة المعاني

وكتب عددا عظيماً من الروايات التمثيلية كان لها نصيب وافر من الرقة والبلاغة تماثل في اسلوبها روح شكسبير منها (فانتازيو) و (اهواء ماريان) سنة ١٨٣٣ و (لورينزاشو) و (لا يمزح بالحب) سنة ١٨٣٤ و (باربيرين) سنة ١٨٣٥ وغيرها

وفي أواخر ايامه أنهكه التعب والمرض من الافراط في الملذات [1] فضعف ذكاؤه وفي سنة ١٨٥٢ انتخب في المجمع العلمي الفرنسي بعدما وهت قواه الجسدية والعقلية وما فتئ مرعياً في فرنسا بانه اكبر الشعراء في الحب واصدقهم وأشدهم تأثيراً

---

(١) كان حبه مبرحا متيما فكان يتكنف في داره ممضيا وقته في البكاء والنحيب حتى جن في اواخر ايامه من شدة الحب وكان يكثر من شرب الابسنت وقت انفعاله واضطرابه ليخفف مابه من وطأة الحزن والبكاء

La Nuit d' Octobre

ليلة من تشرين الاول

الشاعر

أصبحت والحمد لله لا اتذكر مما تكبدته من الآلام. فيما سلف من الايام. الا كطيف خيال او ضباب خفيف اهاجه الفجر ثم لاحت بعده تباشير الصباح وابتسام النسيم العليل . بين الندى البليل

الطيف (١)

ما الذي دهاك ياشاعري وأي عناء خفي أنّ منه قلبك حتى صرمت حبالي وصرتُ اتلهف لسبر هذا الداء الكمين الذي طالما أنضب مني الدمع

الشاعر

قد كان الملّ معروفاً بين الخاص والعام . ولكننا اذا شعرنا ببعض السأم حل القلوب تصورنا لقصر المقول اننا أول من احس بالداء

الطيف

انك لارفع مما اتصفت به فالنفس العلية لا تتألم من الحادث الجلل .

---

(١) من خرافات اليونان ان المشترى إله الآلهة كان له من (منيموزين) احدى زوجاته تسع بنات يعرفن باسم الموز (Les Muses) واختصت كل واحدة منهن بفن من الفنون وصارت إلهة له . وفي هذه القطعة تخيل الشاعر انه يخاطب طيف (موز) الشعر فلذلك فضلنا التعبير عنه بالطيف بدل (موز) او الهة الشعر

وما الذي حرك منك الآن أيها الحبيب ما سكن من أليم الذكرى . فافتح لي صدرك وخبرني عن موضع دائك فقد لقيت من لا يضيع عنده السر . وان السكوت لاخو الموت. وفي الشكوى الى اخي المروءة سلوان وعزاء . كما قد ينجي الكلام من وخز الضمير والندم

الشاعر

وحيث لامناص لي الآن من بث الشكوى . وشرح ما صدع الفؤاد من الهم والبلوى . واني لأحار في تسمية هذه الآلام احب ام جنون ام كبرياء . ولا ادري ان كان اصاب احداً قبلي ما اصابني منه . وحيث خلت بنار الدار فاجلس لاقص عليك الحديث وهاك الكنارة[1] فايقظ مني الفكر بنغماتك العذبة

الطيف

خبرني يا شاعري قبل سرد اوصابك واشجانك ان كنت برئت منها وعوفيت . فتكلم ودع الحب والحقد جانباً . ولو فكرت اني وسمت باحب الاسماء والطفها الا وهو المعزي المسلي نافي الاحزان والاتراح . فلا يجربك الظن اني كنت قرينك فيما ذهب عنك من الجوى المبرح

الشاعر

قد انقشع الداء وتم الشفاء ولم يبق منه في الذاكرة الا خيال . وحينما

---

(١) آلة موسيقية باوتار كانت تستعملها العرب واطلقناها هنا على (الليرا) وهي آلة موسيقية وتريه كانت مستعملة عند قدماء الافرنج

يدور بخلدي ذكر المواطن التي خاطرت فيها بروحي اتخيل اني ارى مكاني انساناً غيري واني لست بطل القصة. فهيا نتجاذب اطراف الحديث باطمئنان ونتساجل بث الشكوى . فما احلى البكاء والابتسام عند تذكار الاوصاب التي يتسنى لنا نسيانها

الطيف

احنو واعطف على قلبك المنفطر كأم حنون ساهرة بجانب ولدها المحبوب . واني لارتعد كالريشة في مهب الريح فوق هذا القلب الذي طالما كاشفني ما انتابه من مضض الوجد ولوعة البين . وها انا يقظ وكنارتي مهيأة لرقيق النغم وشجيه لتتبع لهجة صوتك الحزين عليّ انفي عن قلبك ما ما علق به من الهموم والآلام

الشاعر

لا يعد من عمري الا ما قضيته في العمل . فحبذا الوحدة وحمداً لله الذي حبب اليّ الانقطاع عن العالم وانعكافي في غرفة مطالعتي هذه كمسكين بائس . ولكم اقفرت بي الدار وافترش الغبار المقاعد ولا انيس لي الا المصباح فنعم هذا القصر بل كوني وعالمي الصغير . . وانت ايها الخيال الخالد . هلم نغني فاني احب ان اطلعك على اعماق قلبي وساقص عليك ما تحدثه المرأة من المصائب وما رمتني بها احداهن وربما لا تجهلها. قد سلبتني النهى وصرت لها كالرقيق فاقد الارادة والقوة . بيداني كنت احسبني راتعاً في بحبوحة الهناء والسعادة . وكنا نتمشى على كثبان الرمل

الفضيّ على مقربة من الغدير وامامنا على مرمى النظر شجر الحور الابيض يعبث النسيم بقامته الطويلة الهيفاء التي كانت بمثابة دليل على الطريق الذي نؤمه وكنت ارى في ضوء القمر هذا الجسم الجميل يتثنى بين ذراعيّ كماء الجداول ونحن سكوت والهوى يتكلم

وما كنت لافكر لاي شأو تطوّح بي السعادة والهناء . ولا ريب ان نار الغضب التي اتقدت في قلوب الآلهة كانت في حاجة لقربان تأكله لانها حنقت عليّ واقتصت مني لكوني اردت من باب التجربة ان اكون سعيداً

الطيف

ان خيال التذكار الهنيء جاء طارقا ذاكرتك ليخيم في رسومه القديمة فلِمَ لا ترغب ان يسير سيرته الاولى وذلك خير من جحود ايامك الحلوة الرغدة . وان كنت قد عثر بك الجد ايها الفتى فاعمل على شاكلته وابتسم لايام حبك الاولى

الشاعر

كلا نخليق بي ان ابتسم لايامي المنكودة كما انبأتك من قبل ايها الخيال واني اود ان اقص عليك بلا تأوه ما انتابني من الاماني والالام والبُحران[1] والزمان والمكان

ففي ليلة على ما اذكر من تشرين الاول كثيبة قرة[2] هي وليلتنا هذه

(١) اختلاط العقل عند نوبات المرض الشديد (٢) شديدة البرد

صنوان او توأمان وكانت رياحها تعصف بنغمة واحدة فتحرك من رأسي التي اجهدها النصب ماسكن من مر الشجون والاتراح . وكنت مشرفا من النافذة منتظراً حبيبتي منصتا كأن على رأسي الطير في ظلام حالك فجاش القلق بخاطري وساورتني الظنون والاوهام حتى مثلت امامي الخيانة وكان الحي الذي اسكنه معمّا قفراً لا يرى فيه الا نفر قليل من السابلة [1] بأيديهم مصابيح . وكان كلما هب النسيم من الباب يسمع له على بعد صوت اشبه بأنين انسان . وما ادري كيف اعبر عما دار بخلدي من التشاؤم حتى غبت من القلق والحيرة عن الصواب . واذكر انه بقي لي مسكة من القوة فلما دقت الساعة اقشعررت وارتعدت فرائصي ولم تقبل بعد فبقيت وحدي مطرق الرأس اسرح الطرف في الطريق . واني لم اخبرك بعد بأية جرأة أضرمت هذه المرأة المتلونة في قلبي نار الحب اذ كنت لا احب غيرها في العالم ولا استطيع ان أحيي بدونها يوما واحداً . فتمثل لي النحس بصورة ابشع من الموت ولا فصم ما بيني وبينها من عرى الالفة والمحبة لم ادع في جعبة اللعن لفظاً او معنى الغدر والخيانة الا ووسمتها به . وانتظمت امام ناظريّ جميع المصائب التي رمتني بها فلم يفتني العد والحصر . فوا أسفا على ذكرى جمالها المشؤوم فكم سببت لي من بث وهمّ لم يلطفهما سلوان ولا عزاء .

فما عتّم ان لاح الفجر وأنا منتظر بغير طائل ولا جدوى . وكنت بجانب الشرفة وقد داعب النعاس عيني فأغفيت ثم صحوت فرأيت تباشير

(١) المارون في السبيل أي الطريق

السحر فرددت طرفي فجأة في اطراف الطريق الضيق فسمعت وقع اقدام خفيفة فقلت اللهم تداركني بقوتك فاني اراها وهي عينها فدخلت فقلت لها من أين اقبلت وما فعلت الليلة ؟

اجيبيني . ماذا تبتغين مني . وما الذي طوح بك اليّ في هذه الساعة . واين استاق هذا الجسم اللطيف الى الصباح مع أني لم ابرح مكاني وحيداً ساهراً باكياً . اين اضطجعت ولمن جدت بابتسامك ؟ . يالك من غادرة خائنة جسورة. امن الممكن ان تجيئيني لتقديم ثغرك لقبلي فيهات هيهات لما تبغين وبأي شوق قبيح تجترئين ان تعانقيني بأذرع مُلَّ منها وملت فاذهب واغرب عني ياخيال الخليلة وارجع الى رمسك ان كنت أنشرت منه ودعني انسى زمن صباي مدى حياتي واذا تذكرتك تحققت بان لست الا في عالم الاحلام

الطيف

ناشدتك الله ان تلطف مابك فاني اقشعر من حديثك وان جرحك ايها الحبيب مهيأ للانفجار ثانية اذ اندمل على الصديد والاذى . واها لدنيا لا تنسى مصائبها عاجلا الا بعد كر السنين. فانس جهد استطاعتك مضض الايام واطرد اسم هذه المرأة التي لااريد تسميتها من ذاكرتك

الشاعر

خزيا لك يامن هي اول من علمتني البغض وأفقدتني الرشد من الغضب والانزعاج . تبا لك أيتها المرأة التي سحرتني بعينيها فوقعت في حبالة

هذا الحب المشؤوم الذي أقبر ربيعي وايام هنائي في عالم الخيال. وان صوتك وابتسامك ونظرك المفسد المضل لهي التي علمتني اللعن والسباب . ورماني في مهاوي اليأس صباك الفتاك وجمالك الفتان

عار عليك فاني لم اك بعد الا ساذجاً كالطفل وكان قلبي كزهرة في الفجر لم تتفتح من اكمامها الا لحبك . ولا ريب ان هذا القلب الذي لم يجد له غوثا ذهب فرطاً ولو تركته بُراء لكان أسعد حظا . فضحا لك ياعلة ضري ووسواسي يامن فجرت ينابيع الدمع من آماقي وجفوني وابث سائلا مسترسلا لاتجفف له نابعاً من جرح لم يبرأ بعد. ولكني ساتطهر في هذا الينبوع المرعلّي اتوك فيه درن تذكارك الممقوت

الطيف

حسبك ماقاسيته من هذه الخائنة . وحيث ان أمانيك لم تلبث الا عشية أو ضحاها فلا تفضح هذا اليوم حينما تذكرها وان أردت ان تحب فاحترم الحب .

خلق الانسان ضعيفاً فتراه لايقوى على الغفران لمن اساءه الا بجهد جهيد فاغنم الراحة من عذاب البغض والحقد وان اعوزتك المسامحة فعليك بالنسيان وكما ان الموتى نائمون هامدون في بطون اللحود يلزمنا ان نخمد عواطفنا في رموس القلوب . وذخائر الافئدة المغبرة يجب علينا ان لا نمد يدا الى بقاياها المقدسة. ولِمَ اراك تئن من سرد مصائبك وعذابك وتبتغي ان لاتراه الا في عالم الرؤيا أو كحب كاذب كبرق خلّب . اتخال ان القضاء

يسير بغير حكمة ولا سبب وتظن ان الضربة التي أصابتك ضربة طيش . كلا فعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وربما كان ما اصابك واقيا لك من أعظم منه . وقصارى الكلام ان بليتك هي التي أنارت قلبك فالفادحات والاوصاب بمثابة المعلم والانسان كالطفل المتعلم وبقدر الرزايا تكون المعارف . وانها لشرعة قاسية ولكنها حكمة بالغة قديمة كالدنيا ونكدها . نحن في حاجة للبكاء لنحيي ونشعر كالحصيد يعوزه الندى ليدرك . والسرور رمزه نبات مقطوع مغطى بأزهار تميل أعناقها من الندى . الم تشف من جنونك ولم تزل في عنفوان شبابك سعيداً محبوبا . وهذه المسرات الصغيرة هي التي تُرغب الناس في الحياة . واذا كنت لم تذق طعم البكاء ماذا تكون حالك . اكنت تهنأ بآصال تمرح فيها بين شجيرات الخلنج مع صديق قديم تشربان وتتسامران . اكان يسوغ لك كأسك ان كنت لم تذق طعم البشر والفرح . الا تحب الازهار والمروج والرياض وشعر بترارك [١] وتغريد الطيور الصادحة وميكيل انج [٢] والفنون الجميلة وشكسبير [٣] ومحاسن الطبيعة . ولولا بعض تأوهات قديمة لما كنت تفهم شجو السموات وطربها الذي لا يوصف وسكون الليل وخرير الامواج . ولو لم تهتورك الحمى

(١) من مشاهير الشعراء الايطاليين (٢) مصور مشهور من ايطاليا (٣) من فحول شعراء الانكليز

والسهاد ما كنت تفكر في الراحة الابدية ولما كانت لك خليلة جميلة تقاسمها صنوف المسرات والملذات "(١)

الشاعر

لقد قلت حقاً فالحقد ممقوت . وما كان ذاك الا قشعريرة ملؤها الانزعاج تحدثها هذه الأفعى حينما تزحف في القلوب. فأصغ لي ايها الخيال وكن شهيداً لهذا اليمين : قسما بعيني حبيبتي المزريتين بالزمرد. والجو والسماء . والشمس المشرقة في الافق كدرة متدحرجة . والطبيعة وعظمتها . والخالق وقدرته . والنور ولألائه . والنجم العزيز عند المسافر. والمروج ونضرتها . والغابات ورهبتها . والحياة وسلطتها . والعالم وحركته . انني لطاردها من ذاكرتي وسأعيش مسلوب الحجى من الوجد والشغف. والساعة السعيدة هي التي انساها فيها واغفر لها ما قدمت وأخرت . وليعف بعضنا عن بعض ولنفصم عرى الحب الذي جمعنا امام الخالق بآخر العبرات التي ستكون وداعا الى الممات

والآن ايها الخيال البهي الطلعة أسمعني بعض الاغاني الشجية المطربة اغاني الايام الهنيئة السعيدة اذ الرياض تنفح بأريج شذاها وقد اقترب الصباح فهيا ايها الخل الوفي نقتطف احاسن ازاهير هذه الجنات .

(١) في هذا الموضع كرر المؤلف الجزء الذي ذكر فيه سيره مع خليلته في ضوء القمر قرب الغدير فلذلك ضربنا عن ذكره صفحا لتكراره بلفظه ومعناه

تعال نمتع الناظر بمحاسن الطبيعة الخالدة التي تطرح الآن نقاب النوم ولنعتبر انّا سنولد الساعة مع اشعة الغزالة ؟

La Cavale Sauvage

الفرس الوحشية

كاد يودي بها الظمأ في مفازة [١] تستعر منها الرمضاء [٢] فهامت على وجهها ثلاثة ايام تبحث عن الماء.فلم تظفر به في ارجاء هذه البطحاء.ثم املّت ان تجود عليها السماء بوابل يدرأ عنها غائلة الغلة [٣] في صحراء افترش الغبار نخلها وركد هواؤها فترى جريد النخل متدلياً لاحراك به وقد حمي وطيس الشمس وأضحى الفضاء كتنورا كلبه السجر [٤]

سارت متخبطة في هذه الجرداء [٥] ترتاد بئراً تبل منها صداها وانى تجدها وقد جففته ذكاء [٦] وترى الاسد مضطجعة فوق الصفا [٧] تحرّق الازّم [٨] من الغيظ

شعرت هذه المهرة البائسة انها رزحت تحت كلكل القضاء وقد غلى الدم في عروقها وانفجر من منخرها فخانتها قواها ووقعت مغشياً عليها

---

(١) صحراء (٢) الرمل حينما يسخن من حرارة الشمس (٣) العطش الشديد (٤) اي صار كلباً من السجر اي الايقاد (٥) الارض التي لانبات فيها (٦) الشمس (٧) الصخر (٨) تصرف باسنانها حنقاً

وشرب الرمل دمها بنهم فارتوى وعرفت انه ما ضن عليها بالماء الا وهو اظمأ منها ثم تمددت وانطفأ نور عينيها النجلاوين فأسلمت الروح وأدرجت الصحراء فرسها بل ابنتها في اكفان من رمالها المضطربة

افات فرسنا المنكودة ان ترقب القوافل وهي مارة تحت ظلال الاشجار الوارفة. فما عليها لتفلت من شقائها الا ان تتبعها مطأطئة الرأس لتجد في بغداد الاسطبلات الرطبة المنعشة والمذاود المذهبة والبرسيم المزهر الغض وآباراً باردة لم ترها السماء

وان كان الباريء قد خلقنا من طين واحد فلا بد ان يكون عجننا في آنية مختلفة الصلصال وجففنا في شمس تكاد تميز من الغيظ

ومهما يكن المخلوق نسراً أو خطافاً فلا يستطيع ان يحني عاتقه أو يخفض جناحيه من الذل اذ ليس له من السعادة والهناء اعظم من كلمة واحدة : وهي الحرية

A Une Fleur

زهرة

ما تبتغين أيتها الزهرة العزيزة التي هي احب والطف تذكار . ومن طوح بك الي وقد بقي فيك مسحة من النضارة والحياة ؟

قطعت طريقاً طويلاً طي قرطاس مختوم فماذا سمعت وبم همست

اليك اليد التي قطفتك من الخمائل ؟

هل انت الاضغث [١] يدب فيه الموت ؟ او متهيء لان يزهر مرة اخرى ام أدرجت فيه فكرة ؟ لهفي على زهرتك ايها الضغث التي تماثل ببياضها الوداعة المحزنة . وورقك بلونه يشابه الامل الخائف المتهيب

تكلم ان كنت تحمل اليّ رسالة فقد لقيت من لا يضيع عنده السر. ليت شعري اخضرتك سر من الاسرار ورياك [٢] لغة من اللغات؟ فان كان الامر كما تحدثني به النفس فناجني ايها الرسول الخفي وان لم يك عندك شيء فابق صامتاً ونم على قلبي خفيفاً رطبا

اني لاعرف حق المعرفة هذه اليد التي ملئت فضلاً وولعت بالاهواء وعقدت كمك الباهت بهذا الخيط الناعم . وان هذه اليد لم يجد (فيدياس ولا براكسيتيل [٣]) لها اختاً ليتخذاها نموذجاً لما يصنعان من بديع التماثيل الا يد الزهرة ربة الجمال

انها لزهراء حلوة جميلة صادقة ويقال انها ستكون كنزاً لمن أسعده الحظ فكانت له عروساً . ولكنها حكيمة قاسية اخاف غضبها وشرها . فصه [٤] ايتها الزهرة ودعيني اتيه في بيداء الاماني

---

(١) قضيب صغير من النبات به بعض اوراق أو ازهار (٢) الرائحة الجميلة (٣) اثنان من مصوري التماثيل من مشاهير قدماء اليونان (٤) اسكتي

Lucie

لوسيا

كنت ذات ليلة جالسا بجانبها فانحنت على البيانو وتسربت اليه يدها البيضاء وهي غارقة في بحار امانيها فُخيل اليَّ اني اسمع خرير الماء او ان النسيم مر على مقصبة [1] مشفقا ان يوقظ ما حط عليها من الطير

وكانت ملذات الليالي الشجية تنبعث حولنا من اكمام الازهار وعلى كثب منا حديقة غناء بها القسطل والبلوط العتيق تميل منها الجذوع تحت غصونها الميادة ونحن منصتان لسكون الليل وكانت النافذة مفتوحة يمر منها اريج الخريف المنعش فعطر غرفتنا . وكانت الرياح ساكنة والسهل قفراً ونحن وحدنا تساورنا الشجون ولم يك لنا من العمر الا خمسة عشر ربيعا

نظرت الى لوسيا فاذا هي بيضاء ذهبية الشعر بعينيين لم ارَ اجمل منهما تزريان بصفاء السماء فسَرَت في دمي نشوة جمالها اذ كنت لا اهيم بغيرها وحبي لها كحب الاخ لاخته . وكان الحياء يخامر كل بادرة منها

وبينا نحن سكوت اذ مست يدي يدها فرأيت جبينها الوضاح وقد ارتسم عليه الحزن . وكنت اشعر ان لنضارة الوجه وشباب الفؤاد وهما توأمان ورضيعا لبان تأثيرا عظيماً في شفاء تباريحنا وآلامنا

(١) مكان مزروع فيه قصب اي الغاب

اشرق القمر في سماء نقية رائقة وما لبث ان اشتملته مزنة[١] بيضاء كنسيج من اللجين[٢] . وكانت ترى فيّ صورتها مرتسمة تتلألأ في عيني . ويخيل اليّ ان ابتسامها اشبه بابتسام الملائكة ثم غنت بصوتها الرخيم العذب :

. . . .

. . . .

ايتها الموسيقى انك لبنت الألم ! ولغة ابتدعها العقل لتترجم عن الحب انزلها الله من سمائه الى ايطاليا ومنها جاءتنا بآياتها البينات . وهي الطف لسان للقلب يحمل فكره التي هي اشبه بالعذارى الخفرة[٣] المتهيبة التي تخاف من ظلها وتمشي مختمرة[٤] دون ان تخشى العيون

ومن يعلم مبلغ ما يعقله او يقوله غلام مثلي حينما يسمع تأوهاتك التي تولدت من الهواء الذي يستنشقه . تنهدات لها رنة حزن اشبه بقلبه لطيفة كصوته ؟

ان فاجأتها وجدتها ساجية العبرات وهذا غاية ما تعرفه والباقي سر يجهله الناس كاسرار اللجج وغياهب الغابات !

كنا وحدنا تخامرنا الشجون وانا ناظر الى لوسيا وقد خيل الينا ان صدى انشودتها يكاد يذيب القلوب . ثم اسندت على رأسها المثقل بالهموم

(١) السحابة البيضاء (٢) الفضة (٣) الشديدة الحياء (٤) مدارية رأسها بخمارها

فسألتها هل يشعر قلبك انك في موقف (ديسديمونا [١]) فلذلك تغالبك الهموم من كل صوب ؟ انك تبكين ايتها المسكينـة وقد تركت شفتي تلثم ثغرك اللطيف اذ انت هائمة في مفاوز الشجون . فكأنني ما قبلت الا الحزن وعانقتك فوجدتك مثلوجة الجسم شاحبة اللون . واليوم ولم يمض الا شهران اراك الآن رهينة الرمس !

ايتها الزهرة النضرة الطاهرة ! ارى موتك قد تمثل ابتساماً يماثل حياتك عذوبة ورقة . واصبحت وقد حملك الله بمهدك الى رحمته

ياما احيلى سراً منك يسكنه الطهر والعفاف من شجي الاناشـيد واماني الحب وابتسامات تخجل وميض البروق وفعال في السذاجة [٢] كفعال الاطفال

وانت ايها الحب يامن لم تدرك له العقول كنهاً ولا يقدر ان يعتصم منه احد ويامن أوقف (فوست [٣]) متردداً على باب (مرجيريت)

فكيف اصبحت ياصفاء الايام الاوَل الهنيئة ؟ خيم السكون على روحك ايتها الكاعب ! فوداعا لذكراك وسلاماً على يدك البيضاء التي كانت تحدث من (البيانو) في ليالي الصيف تلك النغمات التي لا يزال رنينها مرفرفاً في اركان البيت

---

(١) امرأة أوتللو (من روايات شكسبير) ويضرب بها المثل الفرنسي للمرأة العفيفة الطاهرة الذيل البريئة المتهمة من زوجها بالشبهات ظلما (٢) البساطة (٣) رواية مشهورة للفيلسوف الالماني (جوت) ومرجيريت حبيبة فوست

أوصيكم ايها الاحباب الاعزاء ان تغرسوا على قبري شجرة صفصاف فاني اهوى لونها الباهت كالحزين الاسف واغصانها المرسلة كدمع الباكي فنعم ظلها الظليل على ارض سأنام فيها نومي الطويل



André Chénier

اندريه شينييه

واسطة عقد شعراء زمانه ولد سنة ١٧٦٢ بالآستانة من ام يونانية واب فرنسي كان سفيرا لدولته بالقسطنطينية فعلمته امه في صغره اللغة اليونانية حتى انه حصل على نصيب وافر منها وطالع في الرابعة عشرة من عمره دواوين شعراء اليونان وفي السادسة عشرة ابتدأ يترجم الشعر اليوناني الى الشعر الفرنسي فتشبعت قريحته من روح النظم القديم فكان شعره يماثل المقيد في الشكل ولكنه جديد الفكر عصري الخيال

أُتيَ به الى فرنسا وهو في حوله الثاني واتم دراسته بمدرسة (نافار) وعالج قرض الشعر مبكرا في شرخ شبابه وهو في السادسة عشرة من عمره وبعد ما قضى بضعة شهور في ستراسبورج وهو ضابط برتبة ملازم ثان اقام طويلاً بباريس ثم اتصل بالسفارة الفرنسية في انكلترا ولبث فيها ثلاث سنين ثم آب الى فرنسا سنة ١٧٩٠

كان محباً للفكر الجديدة ومن نصرائها شديد المارضة ببلاغة ملؤها الحماسة نحو الهيئة الثورية المسماة (لاتيرور La Terreur) وقد قبضت هـذه الفئة الطاغية على زمام الملك في ٣١ مايو سنة ١٧٩٣ وكان رائدها الظلم العسف فاهلكت الحرث والنسل وضربت اعناق آلاف مؤلفة

من نصراء الحرية الذين انبروا للدفاع عنها في ظرف الثلاثة عشر شهرا التي مكثتها هذه الطغمة العاتية وانقشعت بقتل رئيسها (روبيسپيير Robespierre) في ٨ يوليه سنة ١٧٩٤

طفق يحارب هؤلاء الجبابرة بنفثات اقلامه في الجرائد تارة وفي الخطابة طورا مدافعا عن الحرية معددا مساويهم وعسفهم الى ان قبضوا عليه في مارس سنة ١٧٩٤ وسجن في (سان لازار) ثم ضربت عنقه هو و (روشيه Roucher) الشاعر في آن واحد وذهبا كمن سبقهما من الالوف المؤلفة شهيدين للحرية والوطنية في ٢٥ يونيه سنة ١٧٩٤

وكان موته خسرانا عظيماً لفرنسا اذ فقدت به البلاغة والشعر نابغة في عنفوان شبابه ولم يكد يبلغ الثانية والثلاثين ولو عاش لأتى بمعجزات البلاغة ومدهشات القريض وجرذيل النسيان على اغلب شعراء قومه من السلف والخلف

ولم يطبع ديوانه الا في سنة ١٨١٩ وهو يشمل الغزل والرثاء والهجاء والاناشيد الوطنية والرسائل وعدة مقاطيع شعرية من الاهمية بمكان لاسيا (هرمس Hermés) وهي ملحمة فلسفية شائقة

وكان شينييه اعظم شعراء القرن الثامن عشر وفلسفته تشابه فلسفة (بوفون Buffon[1]) او (كابانيس Cabanis [2]) وكان جاحدا لا يتدين بدين.

---

(١) من اعاظم كتاب فرنسا وطارصيته في علم التاريخ الطبيعي سنة ١٧٠٧ — ١٧٨٨

(٢) من مشاهير الاطباء والفلاسفة الفرنسيين سنة ١٧٥٧ — ١٨٠٨

وقد مهر في الشعر واتى فيه بآيات بينات ولم يتفرد بمذهب الشعر المقيد الذي كان يقلده تقليـدا تزينه الرقة والانسجام وكان له ذوق سليم في (الميتولوجيا [١]) والتعبير عن الـكلمات بالجمل اتسع ما يبثه فيها من نفثات البلاغة ولم يستعمل في كتابته غير الالفاظ الفخمة الفصيحة

وقد اعاد هذا الشاعر المجيـد للقريض الفرنسي شبابه بعد ما كاد يودي به الضعف وملأه حمية وحماسة . فجدد الشعر الخلوي بعواطف صادقة تمثل الطبيعة تمثيلاً حقيقياً واحيي الرثاء بما تمليه اليه نفس اضنتها الالآم . واصلح الهجاء بنفحات روحه المتوقدة . وهو اول من انشأ الشعر المطلق واخر شعراء المذهب المقيد واعظمهم

La Jeune Captive

الفتاة الاسيرة (٣)

« يحترم المنجل السنبلة قبل نضجها غاضاً امامها الطرف ويرشف
« جـديد الغصون من الـكروم مايهديه اليه الفجر في أيام الصيف من

---

(١) لما كان المؤلف مسجوناً سمع بجواره فتاة تندب حالها وتشكو زمانها وترثي شبابها الغض خائفة من الموت وهي (مدام دوكواني) سنة ١٧٦٩ — ١٨٢٠ وكانت آية في الجمال والفضل في شهرتها راجع الى هذا الشاعر لـكونه نظم لاجلها هذه القصيدة

« الندى البليل غير خائف من ألم المصر . واني لجميلة فتية مثلها اكره
« الموت ولو اني الآن هدف لقلق البال والسأم

« ليطر الى الموت الزؤام من عصى دمعه من الصبر والجلد وعدم
« المبالاة . ولكني انوح والامل ملء فؤادي . وحينما تهب الشمأل اخفض
« رأسي حرصاً ثم ارفعها اذا مرت . وان كان لبعض الايام مرارة فلغيرها
« حلاوة تنسي نكدها وتبرئ اوصابها ؟ وهل رأيت شهداً شهياً لا تعافه
« النفس ان واظبت عليه وبحراً خلواً من الانواء والاعاصير ؟

« تبيض وتفرخ بقلبي الاماني والآمال في سجن تكاد جدرانه
« تذيخ عليّ لئلا افلت منها ولكن ساء زعمها فاني راكبة جناحي الامل
« كالعندليب تسرب من قفص بائع الطيور القاسي طائراً منتعشاً متهللا
« في فسيح الخلاء ومزهر الرياض وقد اكتنفه الهناء من كل صوب.
« يغرد ثملا بنشوة الحرية والسعادة

« اءموت مثلي ؟ من تنام والدعة غطاؤها وتسهر والسكون انيسها ولم
« يخالجها توبيخ الضمير في اليقظة ولا في النوم

« وكان حسن لقائي نهاراً بادياً في العيون وكأنه يبسم لي ظاهراً على
« الجباه التي اكفهرت من البؤس والعناء وقد أنعش مرآيَ الجميع في
« هذه الاماكن وهللهم بشراً وسرورا

« اني في مبدأ رحلتي الشائقة مسافرة تحت ظلال الاشجار الجميلة
« التي تحف طريقي من الجانبين ولم اكد امر على اولاها وقد مدت امامي

« مائدة الحياة وما اوشكت ان افتتحها ممسكة كأسا مافتئت مفعمة اذ لم
« تكد تنضم عليها شفتاي . ولست الا في الربيع واشتهي ان ادرك
« الحصاد او كالشمس تنتقل من فصل لآخر لتتم سنتها .

« اني لزهرة متلألئة فوق غصني مزرية بما حولي من الازهار في
« بستان دولة الجمال ولم تتمتع بأشمة الغزالة الا عند شروقها وأبغي ان
« أحظى بها لغاية غروبها

« ايها الموت؛ انك لتستطيع ان تنظرني [1] فاغرب عني واذهب
« لتريح القلوب التي يفترسها الخزي والرعب ويميتها اليأس.فان (باليس) [2]
« يعد لي النضر من ملاجئه الخضر و (أمور) [3] المنعش من قبله الحلوة
« و (موز) [4] الشجي من حفلاتها الموسيقية ولست أبغي الموت قبل التمتع
« بهذه الاحتفاآت الهنيئة

* * *

كنت مشاطرا لها في الحزن والاسى فاستيقظت مني مخيلة الشعر وأصغيت لهذا الصوت الشاكي وهذا الاعتراف الذي تبوح به هذه الكاعب الاسيرة ثم هززت اثقال الحياة المضنية ونظمت ماتناثر من فمها اللطيف المحبوب من غرر الدرر في سلك عقود القريض فأصبحت اناشيد

---

(١) تؤخرني (٢) اله الماشية والرعاة في (الميتولوجيا) الرومانية (٣) اله الحب
(٤) الهة الموسيقى

تشجي العشاق وسلوانا ولهوا لهم يقتلون بها اوقات فراغهم

ولقد تساءل من معها من المسجونين من تكون هذه الحسناء التي زانت الرشاقة جبينها وحديثها ؟ وانا لمشفقون ان تنقضي ايامنا وحبذا لو طال علينا الابد فما نحن بجانبها الا في السعادة والهناء لا في السجن والعناء



Le Comte Alfred de Vigny

الكونت الفريد دوفيني

ممن يشار اليهم بأطراف البنان من فحول الشعراء الفرنسيين ولد بلوش سنة ١٧٩٧ وتوفي بباريس سنة ١٨٦٣

كان سنة ١٨١٤ ملازماً ثانيا في فرسان الشرطة (الجندرمة) ثم عين سنة ١٨١٥ في حرس المشاة الملوكي ورقي سنة ١٨٢٣ الى رتبة يوزباشى وأرسل الى الحدود مدة حرب اسبانيا ثم استعفى من الخدمة سنة ١٨٢٨ وقد تزوج قبل هذا العهد بسنتين بفتاة انكليزية تسمى ليديا بونبوري

عاد الى باريس وكان من المطبوعين على الشعر المطلق وابتدأ في نظم الشعر من سنة ١٨١٥ أي في الثامنة عشرة . وظهر أول مؤلفاته سنة ١٨٢٢ بعنوان (منظومات) وفي سنة ١٨٢٦ طبعه طبعة جديدة وسماه (المنظومات القديمة والحديثة) واضاف اليه بعض قطع من ضمنها (موسى) و (ايلوا) و (الطوفان) و (البوق) وفي سنة ١٨٣٧ اتبعها بأخرى وهي (الجليد) و (مدام دوسوبيز) و (الطرادة) و (باريس) و (عشاق مونمورانسي)

وقد كتب نثرا (٥ مارس) سنة ١٨٢٦ وهو رواية تاريخية شائقة كانت آية في البلاغة أجاد فيها واعطى الحوادث حقها من الاستيفاء يزينها

وصف جميل بطريقة لم يجاره فيها مجار . وقصص في مجلدين سماهما (ستيللو) سنة ١٨٣٢ و (الاستعباد والعظمة في الجندية) سنة ١٨٣٥ وعدة روايات منها واحدة نظمية وهي (مغربي ڤينيزيا) سنة ١٨٢٩ و (لاماريشال دانكر) سنة ١٨٣١ و (شاتيرتون) سنة ١٨٣٥ وقد حازت اقبالاً باهراً . ولما مثلت مدام (دورڤال) الممثلة الشهيرة دور (كيتي) في هذه الرواية كانت لها اليد الطولى في زيادة شهرتها اذ اجتمعت مهارة التمثيل ورقة الالقاء ببلاغة الانشاء وما حواه من العواطف المؤثرة

وقد انتخب في المجمع العلمي الفرنسي سنة ١٨٤٥ وقضى ايامه الاخيرة في العزلة كئيباً كاسف البال ومات بعد ماعانى الآلام النفسانية والمتاعب الدنيوية حولا كاملاً وقاسى من نكد الايام ماترزح لثقله الاطواد بصبر يحسده الصبر

وظهر بعد موته جزء ثان من الشعر باسم (الاقدار) ونشر في مجلة العالمين سنة ١٨٦٤ و (يومية شاعر) وهي حاوية لشروح في التراجم وتأملات طبعها (لوي راتيسبون) سنة ١٨٦٧

تفرد هذا الشاعر النابغة دون غيره من شعراء المذهب المطلق بانه شاعر نفسه . فترى جميع ما كتبه نظماً كان او نثراً لايدور الا على شكواه من الزمن ووصف مايقاسيه من الهموم والآلام وتقلبات الدنيا . فترى جميع اقواله مترجمة عن وجدانه وشعوره بمرمى عام لاعن خيال . وجميع رواياته نموذجات لسحر البيان ورقيق العواطف وشدة التأثير

وكانت الافـكار الرئيسية لهـذا الفيلسوف الحـكيم تحوم حول الوحدة التي تقهر النوابغ . وخلو بال الخلق وجمودهم . وغدر المرأة وخيانتها . وعدم احساس الطبيعة وتأثرها . والجلدو الصبر على هذه المصائب والأحن . والخضوع لارادة الخالق ومشيئته

وكان من المجدين حزيناً كئيباً . ولم يبلغ حـد الـكمال في روائع الابتداع ومدهشات الألهام . ولا تزيد قصائده عن الاربعـين واغلبها غامض معقد المعاني . ولـكن اثنتي عشرة منها سارت بذكرها الركبان وعدت من روائع البلاغـة وسحر البيان مثل (موسى) و (قارورة في البحر) و (مصرع الذئب) و (بيت الراعي) و (جبل الزيتون) و (غضب شمسون) وغيرها مما سبق ذكره من قصائده وان كان هذا الشاعر اقل شهرة من فيكتور هوجو ولامارتين والفريد دوموسيه ولكنه معدود من صفهم

La Maison du Berger

بيت الراعي

ان كان قلبك يئن من وطأة اثقال الحياة مضطربا من ألمه كنسر جريح يحاول ان يطير مرفرفا بجناحيه فيقعده ضعفه وتخونه قواه . يحمل كقلبي على جناحـه المستعبد عيشاً ملئ نـكداً فتارة ينيخ عليه بكلـكله

حتى يكاد يسوي به الارض وآونة يثلج [١] صدره فيوشك ان يطير فرحا .
او كان لا يدق دون ان يسيل جرحه او لم يشعر بالهوى وهو نجمه الذي ينير امامه الافق فيهتدي به

أو كانت نفسك كنفسي انهكها ماتحمله من متاعب الدهر ومرارة الحياة وهوى الى الماء مجـذاف سفينتك التي لبست ثوب الحداد فهامت على وجهها في الماء والامواج تلعب بها كما تشاء . فهناك اطرقي برأسك ونوحي على نفسك والتمسي في اللجج طريقاً لم يطرق وانظري وأنت مرتعدة الفرائص الى كتفك العارية لتقرئي ماخطه الدهر عليها من اسطر القضاء المبرم بأحرف من حديد مصهر [٢]

او كان جسمك يقشعر من هول آلامـه الخفية فيكاد ينشق منه الفؤاد كمدا وقد غلب عليه الحياء مما احاط به من الانظار فترينه يبحث عن مكنون الخدور ليواري فيها جماله وليأمن مما يهينه من الاعين التي أفعمتها القحة

اوجفت شفتاك من سم المين [٣] واحمر جبينك حينما يسبح في يم احلام دنسة لا يحوم عليها طائر الخيال وهي ناظرة مصغية اليك . فارحلي رابطة الجأش قوية العزم واطرحي المدن ظهريا تنعي من بناها ولا تدعي غبار الطرق يفترش قدميك وانظري بعين المفكر الى الامصار المستعبدة والجبال التي اتعسها الانسان باسترقاقه ويمي [٤] الغاب العظيم والحقول

(١) ينشرح صدره (٢) حينما يبيض بعد الاحمرار من شدة الاحتراق (٣) الكذب
(٤) اقصدي

الفسيحة فانها نعم الملجأ الحر لجزر معتمة يحفها الماء . وسيري بين المروج
و بيدك زهرة جميلة فان الطبيعة تنتظرك بسكوت رهيب . والعشب يرفع
على قدميك ماتكاثف من ظله . وانين وداع الشمس للارض يؤرجح
جميل الزنبق [١] كبماخر من لجين . وقد حجبت الدحال [٢] جذوع
أشجارها التي امتدت على بعد سحيق . واختفى الطود عن الابصار
واسترسلت افنان الصفصاف ونام عسجد الشفق المحبوب في الوادي على
بسط العشب الزمردية تحت ظلال مانبت من الخيزران حول العين
المنعزلة . ثم يتمايل الشفق في الاحراش [٣] الميادة في الافق راكبا متن
الفرار باسطاً عباءته السوداء على الشواطئ وقد فتح الظلام سجنه للازهار

وكانت على شاهقنا خمائل ملتفة من الخلنج لايستطيع الصائد ان
يخترقها فتريتها وهي اعلى من جباهنا رافعة رأسا تتيه كبرياء واعجاباً وتؤوي
في الليل الراعي والغريب . فتعالي لتستري فيها هواك وزلتك . وان كان
الكلأ مضطربا فيظهرك او قصيراً فلا يجللك [٤] فاني اجر اليك بيت الراعي
فيسير اليك الهوينا على عجلاته الاربع [٥] . وسقفه ليس بعال عن جبينك
وعينيك . وان لون المرجان وخديك هما اللذان صبغا [٦] هذه العربة الليلية

---

(١) نوع من النباتات البصلية له ازهار جميلة بيضاء عطرة جداً (٢) الغابات (٣) الغابات أيضاً (٤) يسترك (٥) من عادة الرعاة الافرنج ان يصنعوا لهم اكواخا من الخشب يأوون اليها على شكل العربات (الاومنيبوس) لتكون متحركة ويذهبون بها حيث يشاءون ويجرها جواد عند انتقاله (٦) يقول ان هذه المرأة حيث كان بعنقها عقد من المرجان كان لونه ينعكس هو ولون خديها على العربة فصارت حمراء اللون

ومحاور مجلاتها الصامتة ومدخله ممطر ومخدعه فسيح مظلم وهناك في هذا الليل البهيم نجد لنا بين الازاهير سريراً يحفه السكون ويضم رأسينا اللتين اختلط منهما الشعر

وسنرى ان كنت ترغبين في بلاد الجليد التي حينما يظهر فيها الكوكب المحبوب يفترس بأشعته ماتجده امامه من الثلوج فيزهو ويشرق . ومواطن تنهبها الرياح ويحاصرها الجليد بأسوار منيعة وبها القطب اللعين وثلوجه الممقوتة . وسنقتفي سير المصادفات الطائش . ولا يهمني ضوء النهار ولا الدنيا الا اذا راقا في عيني

من أنت ياحواء ؟ اتعرفين كنهك ؟ اتعلمين غايتك وواجبك في الدنيا ؟ اتدرين ان الخالق ليعاقب الانسان مخلوقه لعصيانه واكله من الشجرة التي نهاه عنها اقتضت ارادته ان يسلط عليه حباً لذاته لايسبقه حب آخر في كل الازمان واطوار الاعمار . واذ كان اقصى هنائه شغفه بنفسه ترينه معذباً منغصاً منه .

أتعلمين يا أم الخلائق لم سمحت مشيئة القادر بان جعلك للرجل قرينة لطيفة ؟ ذلك لينظر صورته مرتسمة في مرآة روح أخرى ويسمع منك هذا الصوت الجميل المزري بتغريد المنادل والذي لا يصدر الا منك . وليشنف سمعه بصوت رخيم عذب ملؤه الحماس . ولتكوني قاضيه ورفيقه فتتولين حياته وتعيشين خاضعة لشريعته

كلامك اللطيف السار به بعض كلمات استبدادية وعيناك لهما نفوذ

عظيم ومنظرك ذو رواء[١] فخم كما قال ملوك الشرق في أغانيهم . وكل يجتهد ان يحيد عن سهام حكمك العاجلة . ولكن قلبك يكذب هيئتك الجريئة . ويخضع بلا جدال لشقاء الحظ ونكد العيش

فكرتك لها طفرات[٢] كالغزلان ولكنها لاتستطيع السير بغير دليل ولا سند اذ يميت رجليها الثرى وتتعب جناحيها الرياح . تغمض منها العين نهاراً بمجرد ان يسفر الصبح وتارة تصل الى حالق بوثبة واحدة فتزعجها الرياح . وفكرتك المتحركة لا يتيسر لها ان تسهر وحدها دون خوف وملال

لم يشب صفاتك التبصر الذي يمليه الجبن[٣] لان قلبك يهتز ويرن لسماع صوت المضطر المكروب كا (لأرج)[٤] في الكنيسة ساد عليها السكوت والرهبة فترنه يردد صدى الانين فيئن كأنه يتوجع لصاحبه

كلامك كالنيران يهيج الجموع . ودمعك يطهر الاهانة و نكران الجميل . وانك لتدفعين الرجل من ذراعه فيهم واقفاً مسلحاً . وانك لخير من يُهرع اليه لبث الشكاوي الكبيرة التي تنبعث من الانسانية الحزينة بصوت مختنق

---

(١) المنظر البهي (٢) قفزات (٣) يريدان التبصر وقت اغاثة الملهوف من الجبن لانه خائف من ان يبطش به الذي يبطش بهذا المكروب فيتبصر ليحمي نفسه ولربما فات الوقت وهلك المستغيث (٤) آلة موسيقية كالبيانو في الشكل لكنها تختلف عنه بانها ليست لها اوتار بل يحدث الصوت من الهواء الذي ينفخ في مزاميره بان يحرك الانسان رجليه على منفاخ وقت التوقيع وهي لا تستعمل الا في الكنائس

وحينما يكاد القلب يتميز من الغيظ الطاهر ترين هواء المدن يخنقه عند كل ضربة من ضرباته . ولكن انين عذابها الاجتماعي يشاهد مجتمعاً فوق دخانها مكونا كلمة يسمعها من شط[1] اودنا بصوت جلي

تعالي فما السماء الا كانها هالة من نور تحيطك بزرقتها اذ تضيئك وتحميك . وما الجبل الا معبدك والغاب قبابه . وما الطير يميله الهواء على الغصون الميادة والازهار وعرفها والعصافير وانينها الا لتنعش الهواء الذي تستنشقينه ولتحفه بالبشر والابتهاج . وما الارض الا بساط جميل مدَّ تحت اقدام بنيك اللطيفة

احب يا حواء كل شيء في المخلوقات اذ اشاهدها منعكسة في نظرك التائه في مهامه الاماني والذي يبث انى تنقل لهبه المزدان بجميع الألوان . وان استراح بعد تقلبه زاد بهاؤه وانبعث سحره ففاق هاروت وماروت

هيا ضعي يدك النقية المزرية بدُمي[2] العاج فوق قلبي المتمزق ولا تذريني وحدي مع الطبيعة التي اعرفها حق المعرفة لئلا يتطرق اليَّ الوجل منها فقد قالت لي بلسان فصيح :

« اني لدار تمثيل لا تعرف للتأثر معنى ولا تضطرب تحت اقدام
« ممثليها . درجات سلمي من الزمرد وفناؤها من المرمر الابيض ونحتت
« الالهة اعمدتها فلا اسمع صراخكم ولا انينكم واكاد احس بمرور تمثيل

(١) ابتعد (٢) جمع دمية وهي الصور الآدمية الصغيرة المصنوعة من العاج يضرب بها المثل عند العرب للجمال فيقال احسن من دمية

« رواية المجتمع الانساني وانشد في السماء المتفرجين البكم بلا طائل
«اجوب البلاد كالاعمى الاصم واجول بين الامم التي يخطئها الحصر
« مزدرية بهم لا أميز بين دورهم وقبورهم . وشتائي يحصد النفوس له قرباناً
« كما لا يشعر ربيعي بشغفكم به
« كنت قبلك ايها الانسان جميلة معطرة تاركة شعري يلعب به
« الهواء كما يهوى متتبعة في السموات طريقي الذي اعتدته فوق محورها
« المنتظم فتميلني المشيئة حيث شاءت يمنة ويسرة ككفتي الميزان ثم بعدك
« كنت اخترق الفضاء الذي يندفع كل فيه سائرة وحدي بوجه باش
« وصمت يزينه العفاف شاقة الهواء يجيني الوضاح ونهديّ اللذين
« ارتفعا شمماً وكبرياء »

هذا ما سردته عليّ الطبيعة بصوت جهوري ابسته رنة الحزن واني لأمقتها وحانق عليها لكوني ارى دمنا يخالط امواج بحارها وموتانا تحت عشبها فترين اجسامنا بعد تحول مادتها تمتص جذور الاشجار عناصرها السمادية بشره ونهم فتنمو وتعظم وتزهو . فكنت اقول لنفسي الذي راقها هذا البهاء الممقوت . « خير لك ان تحولي نظرك عنه ولا تذرفي دمعة « واحدة اسفا عليه بل احبي مالا يشاهد الا مرة واحدة »

من يسعده الحظ ويشاهد لطفك وحنانك ايها الملاك الجميل الشاكي بصوت خافت كأنما هو محتضر ؟[1] من ولد مثلك وولدت معه الملاطفة

(١) في حالة النزع عند الموت

كأنهما توأمان اذ تراها تلمع مع البرق الذي يتلألأ في نظرك الفاتر وتمايل رأسك اللطيف وقامتك الرشيقة التي لا تكاد تماسك من لينها وتبسمك الذي انعشه الهوى ونغصه باوصابه

* * *

عيشي وانتعشي ايتها الطبيعة الباردة وتحكّمي فينا كيف شئتِ فهذه سنتك وازدري بالانسان ان كنت في مصاف الا لهة فما هو الا عابر حقير جعله الله سلطاناً عليك

احب عظمة الآلام الانسانية اكثر من ملكك ونخامته التي لا تجدي نفعاً وانك لن تؤملي مني حبا

الا تبغين ايتها السائحة المكسال ان تسندي بجبينك الى كتفي لنطير في جو الاماني ؟ فتعالي من هذا البيت المتحرك الذي كسي ببردين من دعة وسكون لتشاهدي ما مر وما سيأتي من صور العالم ومناظره التي احضرتها في ذاكرتي روح طاهرة من الله وستحيي هذه الصور وتلبسها الارواح لاجلك امام هذا الباب وترين البلاد العظيمة ممتدة امامك وهي صامتة

وسنتبع السلف غير مخلِّفين سوى ظلنا على هذه الارض الناكرة للجميل والتي جابها من مات قبلنا وسنتحادث عنهم في الساعة التي يظلم فيها كل شيء اذ يسرك سلوك منهج عفت رسومه واندرست معالمه فتسيرين وانت غارقة في بحار الاماني مستندة على غصون لا تعلم حقيقتها

باكية كارطميس [1] على حافة عيونها حباً صامتاً ما فتىء عرضة للحدثان

---

la Mort du Loup

مصرع الذئب

كان المزن يمر فوق القمر الملتهب كحريق يتصاعد منه الدخان وقد حلك الظلام في الغاب وغاب الافق عن العيون ونحن سائرون سكوتاً على العشب المبال تحفنا خمائل كثيفة من الخلنج وشجر التنوب الذي يكاد يناطح السماء فلمحنا آثار اظفار كبيرة خطتها ارجل الذئاب السيارة التي اخذنا عليها المسالك

أصغينا حتى كدنا نقطع التنفس ولم تهمس منا الاقدام ولا السهل او الغاب بادنى صوت غير مزولة الهواء [2] التي كانت تبعث بصريرها في الجو وكان النسيم يمر على اعالي الابراج واشجار البلوط التي اضطجعت على ما يحيط بها من الصخور. وبينا نحن في هذا السكون والصائدون بالمرصاد اذ لمح شيخ منهم اثراً جديدا لمخالب عظيمة لذئبين وجروين فانبأنا همسا فجهزنا الخناجر وحشونا البنادق وسرنا الهوينا فارقين ما يعترضنا من الغصون المشتبكة فوقف ثلاثة منا ولبثت مكاني لارى ما استلفت انظارهم

---

(١) الهة الصيد والغابات في خرافات اليونان (٢) آلة تبين الجهة التي تهب منها الريح وعبرنا عنها بهذا اللفظ لانها ما كانت معروفة عند العرب

فلمحت عينين برّاقتين ومن أمم اربعة اشباح ترقص في سنا القمر بين خمائل الخلنج كديدنها اليومي ولما اقبل الرئيس كانت الكلاب متهللة تشبه صغار الذئاب في فرحها ورقصها ولكن الاخيرة كانت تمرح دون لغط وقد خيم عليها السكون حذرة لا تنام الا غرارا اذ على كثب منها الانسان عدوها اللدود

وكيف تنام الطير في وكناتها * وقد نصبت للفرقدين الحبائل

وكان الذئب الكبير واقفاً وعلى بعد منه انثاه مضطجعة على جذع شجرة كانها تمثال المرمر الذي كان يعبده الرومان ممثلا ذئبة حاضنة (ريموس ورومولوس[1]) اللذين وضعها الرومان في مصاف الآلهة الصغيرة

ثم اقبل الذئب وقعد باسطاً ذراعيه منشبا اظافره في الرمل ولما استيأس وخاب رجاؤه في النجاة اذ سدت عليه طرائقه امسك اقوى الكلاب من رقبته بفكين قويين كانهما قُدا من حديد وجالد قرنه جلاد المستميت ولم يتركه رغماً عما اخترم جسمه من رصاصنا المتدفق من بنادقنا كالمطر وخناجرنا المغمدة في احشائه ولم يزل ممسكا خصمه غير مبال بما اصابه حتى دق عنقه وتركه جثة بلا روح وكانت الخناجر الغائرة في جسمه اشبه بمسامير سمرته على الكلأ وقد ارتوى العشب من دمه وتحيط به بنادقنا كرزايا قامت على سوقها وما فتيء ناظراً الينا وهو يلعق ما سال

---

(١) اللذان اسسا مدينة رومة

من دمه حول فمه وبدون ان يتأمل كيف هلك اطبق عينيه ومات ولم ينبعث منه صراخ ولا انين

اطرقت الى الارض مسندا برأسي الى بندقتي مفكراً بغير وصول لغاية اذ حدثتني النفس ان اقتفي الذئبة وجرويها التي كانت في انتظاره على ما اظن ولولا ولداها لما تركت ارملتنا الجميلة الحزينة الفها يحتسي وحده صاب المصاب ولكن واجبها حتم عليها ان تحرس صغارها وتكلأها بعين عنايتها ولتدربها على النفور من عهود المدن التي ارتبط بها الانسان مع الانعام التي استخدمها مهما اودى بها السغب فتراها تطارد امامه اول من امتلك الغاب والجبال لتحصل على ركن تأوي اليه

اسفي حينما افكر في الانسان ولو طاولت عظمته السماء فاني اخجل من ذكره لضعفه وخور عزيمته، وانك وحدك ايتها العجماوات[1] الفخمة العظيمة التي تعرف كيف تفارق الدنيا وبؤسها وآلامها وان تأمل الانسان وجد ان افضل اعماله السكوت وما سواه ضعف وخور

لقد عرفت حقيقتك ايها السائح اذ اخترقت نظرتك الاخيرة اعماق قلبي كأنها تقول لي بلسان فصيح : « ان استطعت ان تبلغ نفسك مبلغ روحي فثابر على الاجتهاد والتأمل لتصل الى هـذه الدرجة القصوى من الجلد والصبر والاعجاب بالنفس فاني ولدت في هـذه الدحال ونشأت بها

(١) العجماوات والانعام البهائم الآنسة

وقد علمتني صروف الدهر ان الصراخ والعويل والتوسل لهي صفات الجبن والعجز والواجب يقضي عليك ان تقوم باعباء ماعهد اليك وكلفت به وناداك اليه حظك بعزيمة تسبق العضب في المضاء مهما بلغ الامر منتهاه من الشدة والمضض وبعد اللتيا والتي كن مثلي كاظما آلامك ثم مت صامتا دون ان تنبس ببنت شفة



François Coppée

فرنسوا كوبيه

نابغة من شعراء وروائيي العصر الفرنسيين ممن يفتخر بهم الشعر المطلق ولد بباريس سنة ١٨٤٢

ظهرت اول مجموعة من نظمه بعنوان (صندوق البقايا المقدسة) سنة ١٨٦٦ وكان في أول ظهوره في عالم الشعر عاطلا من مميزاته ونفحاته. فلما صدرت روايته النظمية (جواب الآفاق) سنة ١٨٦٩ رفعت قدره واستلفتت اليه الانظار من كل فج عميق حتى عد من فحول الشعراء. وهي من معجزات نظمه ودرة يتيمة في بابها لم يأت أحد بمثالها غير ماحوته من رقيق العواطف ودقيق الاشارات

وكتب عدداً عظيما من الروايات التمثيلية والمجموعات الشعرية. ومن اشهر رواياته التمثيلية (عواد كريمون) سنة ١٨٧٦ وهي شائقة مؤثرة و (سيفيروتوريللى) سنة ١٨٨٣ و (اليعقوبيون) سنة ١٨٨٥ و (لاجل التاج) سنة ١٨٩٥ وهي رواية تاريخية نظمية من أبدع ما كتبه الشاعر سحرت العقول ببلاغتها ومتانة قريضها وما شملته من النفحات العلوية والفيوض الربانية

ومن نخب شعره: (المودات) سنة ١٨٦٨ و (المساكين) سنة ١٨٧٢

و (بين المنازل والنزهِ) سنة ١٨٧٥ و (الدفتر الاحمر) سنة ١٨٧٤ و (المقاطيع الشعرية والمراثي) سنة ١٨٧٨ وعدد وافر من القصائد نشرت على حدة لاسيما (اوليفيه)

وما كتبه نثرا مثل (القصص) وهي في خمسة اجزاء واشتهرت برقة العواطف وجملة روايات نثرية وعدد من مجموعات الحوادث التاريخية منها (الألم العظيم) سنة ١٨٩٨ وهي تنبئ بحصول بعض من الانتقال الديني للمؤلف. وقد انتخب في المجمع العلمي الفرنسي سنة ١٨٨٤ ثم اشتغل بالسياسة وعين رئيس شرف لحزب (الوطن الفرنسي) سنة ١٨٩٩ ثم استقال عقب انتخابات سنة ١٩٠٢ ومن هذا الوقت امسك اللسان وطرح القلم ولم يكتب الا ماندر

وظهر في هذا العهد الاخير له ثلاثة اجزاء الاول منها (في الصلاة والحرب) وهو نظم سنة ١٩٠١ والثاني (قصص لايام الاعياد) سنة ١٩٠٢ والثالث (اثمار فرنسية) سنة ١٩٠٦ وجملة مواضيع وقصائد ظهرت في الجرائد والمجلات وكان لها استحسان باهر

وقد تبرع للمجمع العلمي الفرنسي بجائزة للشعر قدرها الف فرنك تمنح كل سنتين

مهر وبهر شاعرنا هذا في اغلب انواع الشعر لاسيما المراثي والملاحم. وكان من الشعراء المحققين وحاز القدح المعلى في الشعر القصصي المألوف وانواع الشعر المبتكرة في بابها. وقداجاد في وصف المناظر الطبيعية كقوله

في وصف ضواحي باريس : « أرض فضاء جرداء . وأشجار هيفاء . وطرق سوداء . افترشها مايلفظه[١] دوحها[٢] من اللحاء[٣] . ولكن لها نصيب وافر من الشجو والطرب يأخذ بمجامع القلوب

وكان مقتدرا في وصف اخلاق القرويين وعاداتهم وصفا صادقا رقيقا شجيا يهز القلوب طربا حينما يصف البؤس المتواصل والفقر المدقع والفضائل المجهولة فلذلك وسموه (بشاعر المساكين) لانه في هذه الطبقة الصغيرة الحقيرة اسعده القريض وحده بنفحات مدهشات قلدته زعامة[٤] هذا النوع الذي ابتكره

وقد وفق في التمثيل بين المذهب المطلق والمذهب المقيد فأعطى للاخير العويص الفهم رقة تعبير الاول وسلاسة تركيبه

وهو في الادبيات يشبه شعراء المذهب المقيد لاسيما (كورنيي Corneille) وقد رزق منها قسطا وافراً ومكانا رفيعا اذ تعد رواياته التمثيلية من اعظم الروايات الاخلاقية

وكان من امهر الناثرين وكتب في الجرائد في قسمي الاخبار والملحقات الروائية نثراً سلس العبارة رقيق التعبير ملؤه العواطف والوجدان الحي . كما انه اجاد أيضا في المواضيع الفكاهية

وقد توفي بباريس في ٢٣ مايو سنة ١٩٠٨ واحتفلوا بجنازته احتفالا شائقا فخما يليق بمقامه الرفيع وبكاه القريض الفرنسي قبل الشعراء

(١) تطرحه (٢) الدوح الشجر (٣) قشر الشجر (٤) رئاسة

Le Passant

جوّاب الآفاق

رواية تمثيلية ذات فصل واحد

(يحتوي المرسح على روض بهيج خلوي يضيئه القمر وعلى يمينه بيت جميل توفرت فيه أسباب السرور بصنوفه قائم على سفح اكمة وبجانب الحائط مقعد خشبي قديم • وتظهر من بعد داخل المرسح معالم مدينة فلورنسا ولا يكاد يحققها الرائي والسماء صافية تتلألأ في كبدها نجومها)

سيلفيا (وحدها)

(ترى سيلفيا لابسة ثوباً ابيض عارية الكتفين والذراعين متكئة على حاجز المشى مسرحة نظرها في روضها الجميل)

لعن الله الحب فقد صير العين جامدة والدمع عصيا

(ثم تنزل ببطء الى حضيض الاكمة)

لقد قضيت صباي في سلب العقول واختطاف النهى وانا الاميرة الخبيثة ويقبل يدي الجميع كملكة وهم صاغرون . وكان قلبي لايشعر ولا يحفل بقبلهم الحارة . فمن يخال اني بعد مابلغت هذا الشأو البعيد اسأم وامل السماء باقية على صفائها الجميل مضى عليها شهران ولم تمطر والصيف وسكونه ولياليه المحبوبة . ولا ريب ان الشعراء والمغنين يسعدهم الحظ

ويفحمهم بتشبيهات سمجة . وأرى اسمي تتقاسمه القوافي مع اسماء الازهار فلا تكاد تقع عيني على قصيدة الا وأبصر اسمي فيها حتى امتلكت القلوب وصرت اغبط على هذه المنحة الجليلة

وهؤلاء المتملقون الصاغرون لا انظر اليهم الا بعين ملؤها الازدراء والاحتقار . وهذا (التوسكاني) بطل الوقائع والحوادث المتقلب في النعم الجزيلة يطرح تحت قدمي الحلي من ذهب وجوهر . وذاك القاضي يتيه كبرياء واعجاباً . والآخر وزير مال (جنوة) يتنافسان في عرض نفيس الماس وغرر الدرر امام ناظريّ لينظرا لمن يكون الغلب والظفر فيستلفت عيني نحو هديته الغالية . ولكن هيهات لما يؤملون فاني أبغضهم واحتقرهم وكل هؤلاء الرجال ذوي القلوب الخوالي ليتهم يحبونني مفاخرة لحبهم لي لقضاء مآربهم

اني لاتألم من هـذه الحياة اذ الموت خير من حياة بلا حب وقد اصبحت لا املك شيئاً من ذخائر الحب حتى زهرة جافة احفظها في كتاب او خصلة من شعر او كلمـة حلوة تسترق القلوب يفكر فيها الانسان قبل نومه حتى صارت الحياة خلواً من المسرات كما لا يشوبها ضر او فزع اشكو او استغيث منه . فوا أسفاً صرت لا استطيع البكاء ولو خفية . اواه من حزن ضاق به الصدر ذرعا وهم يكاد يتفطر منه القلب . (مشيرة الى المدينة التي تظهر من بعد) هذه فلورنسا والليل صافي الاديم والسماء مقمرة ولربما نظرني تلميذ مرة فوقع في حبائل غرامي وغلبه حياؤه فعف وكتم حبه

وجلس بجانب نافذته شاخصا الى السماء يناجي النجوم فيصعد الزفرات تارة و يثمل من نشوة امانيه طوراً

ليت شعري كيف يحفظ العهد لحب لست له اهلا . ولـكن لو عثر به الجد ورماه في طريق المنـكود فلا يظن ان قلبي يطاوعني على خذلانه وتركه ليتيه في بيداء هيامه

واني لأعاهده على ان يشاطرني آلامي كما سأهبه وحده نفسي واضن على كل من يخطبني حبي

زانيتو (يغني على بعد)

احبب بفصل جاء بعد شتاء * فصل الربيع ووصل كل هناء
غارت ذكاء لحسنه فتألقت * ورمت اشعتها على الغبراء
وكذلك الاوكار دب دبيبها * والجو خامره نسيم صفاء
والريش من قمريها انى مشى * ماش رآه فوق وجه الماء

سيلفيا

كل ينغصني ويغيظني حتى هـذا الصوت الرخيم في الليل البهيم وسرور الخلق يتبعني ويقتفي مني الاثر . فيالقلب حزين وبال كاسف واني وذاك الصادح على طرفي نقيض فانا العن الربيع وهو يترنم بتمجيده

زانيتو (يغني وقد اقترب صوته)

فاسلك بنا سبل الفراش لنلتقي * يا ابن الـكرام بكاعب هيفاء

فهناك نمرح في ظلال خميلة * بالقرب من عين تروق الرائي
ونشاهد الغزلان غزلان النقى * تروي الصدى في هذه البطحاء[1]

سيلفيا

النغم شجي والصوت عذب يستهوي الافئدة ولكنني لا اعلم حال هؤلاء الذين يدعون الحب فلندخل ولنترك الميدان فسيحا للذين أسعدهم الحظ والهناء

(ثم تصعد الى بيتها وهي تنظر حائرة الى الجهة التي ينبعث منها الصوت . ويأتي)
(زانيتو ومزهره(٢)على كتفه متأبطاً عباءته وطرفها يكنس الكلأ وراءه ويدخل)
(متهللا دون ان يلمح سيلفيا)

زانيتو (وهو واقف في صحن الدار)

رعى الله ليالي الصيف التي تمكن المسافر من الرحل الشائقة اذ يتناول عشاءه في قرية حقيرة تحت دوالي الكروم وامامه منظر الغروب البهيج ثم يتم ترحاله في شروق القمر ولا مطية له الا قدماه يسير مترنما برقيق الاناشيد كي لا يشعر بالنصب . سقيا لليالي الصيف اذ السماء صافية تتلألأ بها دراريها مبتسمة للمسافر لامعة من خلال اشجار الطريق عشتِ ونعشتِ ياليالي الصيف انت والامل . وها انذا على مقربة

(١) اننا لم نستحسن ترجمة هذه الانشودة نثرا فالتمسنا من احد فضلاء شعراء العصر نظمها واشار علينا بان لا نذكر اسمه (٢) المزهر هو العود

من فلورنسا وسأعرف غداً ان كان العهد باقياً على حبها لسماع انغام العود وشجي الاغاني الغزلية . ولكني أرى النهار بعيداً وثيابي رقيقة ومزهري هذا احمله على كتفي كضغث على ابّالة . واهل الخان الآن في دعة واطمئنان . يطرق بابهم الطارق حتى يكل ساعده وهم كأنهم صم وبعد الجهد الجهيد يفتحون وقد علا وجوههم السأم والضجر فمن لي بركن آوي اليه واقضي فيه ليلتي هذه

(ثم يلمح المقعد القديم بجانب الحائط)

هذا مقعد عتيق ولو انه مضجع خشن لكن الليل هادئ رائق ونعم العشب من وسادة وان شعرت ببرد الليل فستصلح الشمس في الصباح ما افسده المساء وما عليّ الا ان ارقص قليلاً في الشمس فادفأ واستأصل من جسمي شأفة البرد

(ثم يتهيأ للمنام)

سيان عندي هذا المضجع القض [١] وفراش وثير [٢] . فما اجمل النجوم وما احلى خان الخالق الذي لا يكلف اجراً

(ثم يمتد على المقعد ملتحفاً بعباءته وينام)

سيلفيا (ناظرة من سفح فناء دارها)

يالك من غلام مسكين قد فعل كما قال . كنت اشكو منذ هنيهة من جمال الليل فما اخبثني !

---

(١) اقض المضجع فهو قض أي تترب وخشن ولم يطمئن به النوم (٢) لين ناعم

(ثم تنزل مسرعة الى الحضيض (١))

يلزمني ان ادعوه لاني لم أقم بواجب الضيافة ولم يفتني الوقت بعد . يشكو الانسان من الصيف لانه يكون فيه عرضة للشجون ويود لو يكون الليل حالكاً معتما فينسى جميع هؤلاء البؤساء الذين يطوح بهم الحظ المنكود في كل شرق وغرب ولا من يؤويهم ويواسيهم

(ثم تنظر الى زانيتو وهو نائم)

انه لنائم نوماً هنيئا سائغا ولا ريب انه اعتاده وألفه . ولكني صامتة مضطربة امام هذا المشهد الرهيب من عزلة ووحدة وليل اريج . وغلام نائم بهيج . واني ليخيل اليّ اني اسمع دقات قلبي وكأن عاملا جديداً يحرك منه ماسكن ويثير ماهدأ حتى كدت افقد صوابي

(ثم تقترب من زانيتو وتطيل اليه النظر)

وا أسفا انه لمماثل لامانيّ

(ثم تأخذ بيده بلطف)

هيا استيقظ فان هواء الليل ضار

(زانيتو يستيقظ ويرى سيلفيا فيدهش ويأخذه العجب)

اأنت من بنات الجن ! لقد كنت الساعة اراك في احلامي وكنت انظر اشباحا بيضاء تمر عليّ تلو بعضها

---

(١) اسفل الجبل

سيلفيا

واها لك! لم تكن الا أشعة الكواكب تخلل الاشجار

زانيتو

لا فما رأيته في عالم الرؤيا هو عين ما اشاهده الآن واني لأتصور انني عرفت صوتك أيضاً . ولو ان النائم لايعي شيئا لكن روحه تسبح في عالم الخيال فترى وتسمع وتحدث وكنت اسمع ايضاً انغام موسيقى شجية لم اسمع مثلها في المقام الدنيوي

سيلفيا

ما سمعته من الالحان الموسيقية لم تكن الا الاشجار تعبث بها الصبا فتمايل غصونها ويسمع حفيفها

زانيتو

ولكن من تكونين اذاً ؟

سيلفيا

انني مفاجئة اعرض عليك طعاما ومأوى ان كنت في حاجة اليهما

زانيتو (وهو مطيل النظر اليها)

شكراً لك فقد تناولت عشائي متأخراً واستكفيت من النوم

سيلفيا (تخاطب نفسها على حدة)

اتقي الله وكوني عفوة ايتها المرأة القاسية ! الا تفكرين ان الكل يؤاخذك بل يصب لعناته عليك ان مس حبك هذا الغلام الغر بسوء

(ثم تخاطبه)

الا يحق لي معرفة من ينام تحت نافذتي ؟

زانيتو

لك ماتبغين فاني لا اروم الخفاء ومهنتي موسيقار[١] واسمي زانيتو . ومنذ طفولتي وانا اجوب الآفاق وحياتي اسفار ورياضة واذكر اني لم ابت ثلاث ايام تباعا تحت سقف . واعيش من وراء عشرين مهنة صغيرة لايحتاج اليها ولكن احقرها عندي اجلها نفعا

اعرف كيف انزل السفينة في البحيرة وكيف اسيرها . واعلم كيف انتقي من الحديقة الغناء غصنين لدنين اشد عليهما الشباك بمثابة سرير وثير . وأدري كيف اطلق الكلاب السلوقية مثنى مثنى وراء الصيد . واعرف كيف اذلل الصعب من الجياد . واعلم كيف اصوغ القوافي وانضدها كعقود الجمان في جياد الحسان . وفضلا عما ذكرته من الفضل الذي لايدانيني فيه مدان . في حلبة الرهان . ادري كيف اربي البزاة والصقور وادربها الصيد . وفي الموسيقى لاسيما المزهر اعد من الرؤساء الفضلاء

سيلفيا (وهي باسمة)

انت حائز لكل هذه المهن والفنون وتقضي اغلب لياليك طاويا[٢]

زانيتو

لقد صدقتك فيما سردت واني لاعرف لنفسي ترتيبا ولا قاعدة

(١) موسيقي (٢) جائعاً

اسير عليها وساعة طعامي ليست محددة اذ طالما نسيتها لان بلادنا لا تعرف للضيافة حقاً وكثيرا ما اكون بعيدا عن بيوت الهناء والنعيم منزويا في ركن من غابة . وقد رددت قبل مجيئي غائلة السغب [١] بقليل من البندق وذلك جمل فيّ روح السنجاب [٢] ورشاقته

وبعد فكان الناس يحسنون وفادتي ويلقوني بالايناس والترحاب لاني لا اشغل مكانا عظيما ويكفيني الشيء النزر

الج القصور ليلا واعرض على اهلها ان اشنف اسماعهم برقيق الاغاني وشجي الالحان وهم على المائدة ثم اصدح بصوتي الرخيم الرنان فاسترق الاسماع والقلوب.وانال كل مرغوب ومطلوب. ويعطف عليّ رب القصر وينفحني بذراع من الاروى [٣] الشهي وطير سمين وان اشتهيت شيئاً من الصحاف الحارة فما هي الا نظرة اليه تكفيني مؤونة الطلب وان هو الا لمح البصر أو هو اقرب ويكون امامي الصنف الذي تاقت نفسي اليه

سيلفيا

قد وعيت جميع ماسردته واظنك متمما ترحالك الى فلورنسا

زانيتو

سايممها بلا ريب ولكن لو اتفق وتقاطع امامي طريقان اقصد اجملهما وأضرب صفحا عن عزمي السابق . اتبع اهوائي في اسفاري

---

(١) الجوع (٢) حيوان صغير في حجم القط وله ذيل طويل ووبره مسترسل يأوي الى اشجار البندق (٣) نوع من الحيوانات يقرب من الغزلان شكلا

واجوب البـلاد كالسحاب او كالاوراق الذابلة تطير كما تهوى الرياح . لا يُعلم من اين أتيت ولا اين ألقي عصا الترحال . فمثلي كمثل الشاعر أو المجنون يهيمان في كل واد . اتبع الطير في مسـيره وتسمع اغانيّ مرة واحدة لاني لا امكث في البلدة الا ريثما ابتاع بعض الازهار الجميلة لأزين بها مزهري

انا الرحالة العجيب الذي حكم عليه الناس بالخفة والطيش ويمرح في ربيعه السادس عشر . ان امطرت السماء استترت تحت الخمائل المتكاثفة ريثما يسكن المطر ثم اخرج من الغابة المبللة ضاحكا من قوس قزح

لم اجشم نفسي للحصول على الغنى والسعادة كما انني لم اصادفهما قط . واني كالحاج المسافر في ضوء القمر يشرب من الينبوع المنفجر ويخوض النهر من المخاضة . مداوم سيره لا يقعده تعب ولا نصب

سيلفيا

الم تفكر قط في الاقامة بعد هذا السير المتواصل الذي تبثه فيك روح النزق والطيش . وانك لتؤمل الاماني والآمال من الغـد الخفي المبهم . اما بصُرت في ترحالك بمنعطف الطريق ببيت صغير خيم عليـه السكون والدعة وهو في حلته البيضاء الناصعة تكسوه النباتات المتسلقة التي حوت من احاسن الازهار واريج الورود وببابه كلب جميل امين

ينام باحـدى مقلتيه ويتقي * بأخرى المنايا فهو يقظان نائم

وبنافذته المفتوحة فتاة هيفاء دعجاء تحييّك وانت مار

زانيتو

طالما تيقنت ان اناشيدي اشبه بحجر يقذف به في خميلة فيهيج منها ما كمن من الافاعي كبيرها وصغيرها . واني امام هـذا المنظر الذي لا يميل اليـه الا كل حوشي سوقة اراني لا آلفه لكوني احب ان اترك الاسر وشأنهم من الدعة والسكون

سيلفيا

الا تغرق في بحار امانيك حينما تبتسم لك الفتيات الحسان بما يخجل البدور ويطرحن عليك من الازاهير التي يعلقنها بصدورهن

زانيتو

وما الفائدة من جراء ذلك ؟ بل كنت ارسل اليهن قبلة من بعيد واذهب لشأني . وقـد بينت لك ان اثمن الاشياء عندي الحرية . وان احببت واطلقت لنفسي العنان في الحب صرت اسيره وافقد رحلي الشائقة واني الآن خفيف العبء لا احمل الا ريشة ازين بها قلنسوتي ومزهري على كتفي . واما الحب فحمل ثقيل ترزح من ثقله القلوب الشداد

سيلفيا

انك لطير صعب المراس لا يستطاع امساكه في قفص ليستأنس ويستألف

زانيتو

ان ذلك لمحال

سيلفيا

الا يفكر طيرنا ان يصنع له عشا يوماً ما يأوي اليه

زانيتو

لا لا ! فانني ارتعد خوفاً حينما اسمع اسم الحب . وانك لا تعرفين حلاوة السفر ولذته كالفراش[١] المتنقل على جميل الازهار لا يلبث على احداها الا ريثما يمتص رحيقها[٢]

سيلفيا

ليست السعادة ما تظنه. انك ذاهب الى فلورنسا ولا امل يقودك. يرشدك الاتفاق وتأخذ بيدك المصادفات . وقد استعذبت الطريق الجميل . ونسيم الليل العليل البليل . تتبع خُطَّافاً[٣] طائراً. او صبا[٤] سائراً

زانيتو

الامر كما وصفت

سيلفيا

قد عرفت سيرك ولكن غاب عني مقصدك

زانيتو

انه لمبهم

---

(١) ابو دقيق (٢) اصطلح كتاب علم النباتات على تسمية المادة العسلية التي تفرزها بعض الازهار بالرحيق (٣) الطائر المعروف عند العامة بعصفور الجنه (٤) نسيم الصبا

سيلفيا

وماذا يكون

زانيتو

اني لا أعلم ما في الغد

سيلفيا

اود ان امد اليك يد المعونة

زانيتو

لست في حاجة اليها وربما لا اخطو خطوة واحدة بعد جميع مامضى . وان نفسي تحدثني بامر ذي بال وذاك ان مثلي من لا يعلم له اباً ولا اماً لا يبعد ان يكون ابن قروي حقير او ابن سيد امير ولكن يغلب على ظني اني ولدت في صبيحة يوم جميل من ايام الربيع لان شعاع السرور المرتسم في رأسي يمنعني ان اظنني يتيماً ولغاية الآن وانا جائل كالفلوّ [1] فرحاً مرحاً لا اطمع في عيش ارقى مما انا فيه . ولكنني يلزمني ان ابوح لك ياسيدتي بما يخالج صدري لما آنسته منك من اللطف والرقة في مخاطبتي . فقد عاودتني الذكرى القديمة المبهمة فتذكرت اختا لا اعلم الآن خبرها وما فعل بها الدهر

وحينما افهمتني حقيقة المأوى الذي تكتنفه السعادة من كل صوب وهو بعيد عن اعين الناس تظله النباتات الجميلة التي اكتست بابهى

(١) ولد الفرس

الازاهير اراني الآن قد ابتدأت ان اشعر بوطأة التعب والنصب مما تكبدته من مشاق الترحال والاسفار

ولقد تاقت نفسي لما عرضته عليّ واراني منقاداً طائعاً لنصحك فكوني طيبة القلب كما انت جميلة الطلعة . افلا تجربين اذن ان تحفظي هذا الطير الشارد بجانبك ليألف ويستأنس بعد نفوره

واني اعاهدك بان اهجر عيشتي السابقة التي لا نظام لها واعيش هنا ولا قصد لي الا ان اقضي عامة اليوم جالساً على وسادة تحت قدميك اسامرك بما يقتل الوقت واشنف منك السمع باناشيد ترنح منك الاعطاف وترقص ما يجول بخاطرك من الاماني والآمال

سيلفيا

ما أنت الا طفل !

(ثم تناجي نفسها على حدة)

مالي أراني مضطربة خائفة من ان احوزه بجانبي واحوطه بصنوف الاعتناء والحنان ويستهوي سمعي حينما يناديني يا حبيبتي وهنالك محط آمالي!

زانيتو

فهل لك فيما بحت به اليك

سيلفيا (على حدة)

وان قبلت ؟ لا فذاك محال ! ولكنه هو الذي عرض عليّ الامر بنفسه

زانيتو

اعلم يا سيدتي ان هذا منك كريم عظيم ولكن هل تسمح ارادتك؟

سيلفيا (على حدة)

سيعلم غداً من انا

زانيتو

ما رأيك اخيراً ؟

سيلفيا

لا استطيعه

زانيتو

ولِمَ لا تسطيعينه ؟

سيلفيا

لست المرأة التي تظنها اذ لا يقوم باعباء ما تتمنى الا سيدة سرية لتعول امثالك من الشعراء والموسيقيين وترعاهم بعظيم عنايتها . اما انا ففقيرة يعوزني المال والرجال

زانيتو

امالك حاجب من الشرفاء ؟

سيلفيا

لا

زانيتو

ولا خادم

سيفليا

كلا

زانيتو

اني اقنع بثمرة واحدة اتناولها في العشاء ويكفيني كرسي انام عليه

سيلفيا

ليس في الامكان

زانيتو

ولكن

سيلفيا

انى ارملة لم تقض ايام حدادها وعائشة وحدها

زانيتو

وا أسفاه ياسيدتي فاني لا اتطلب الا ان اعيش تحت قدميك

سيلفيا

قد طلبت محالاً

زانيتو

وداعاً لحظ سعيد هنيء تمناه القلب واشتاقت اليه النفس ولكني لا ايأس من رحمة الله فلربما صادفت من سيلفيا من الهناء اسمده ومن النعيم أرغده

سيلفيا (على حدة)

ماذا يقول ؟

زانيتو

حيث استحال العيش بجانبك في الدعة والسكون مما حدثتني به النفس وانا مصغ لما سردته عليّ من الحديث فعلى الاقل جودي عليّ برأيك ومحضيني النصح . فقد انبئت منذ ايام ان في فلورنسا سيدة لم يثبت امامها قلب من القلوب ونظرة منها اشد فتكاً من السهم المريش وكافية لان تطرح تحت قدميها اشد الرجال بأساً . ولا ريب انك تعرفين اسمها وهو (سيلفيا) ويقال انها تعيش ببذخ ورفاهية والناس تفد عليها من كل فج عميق والسعيد من وفق لان يمكث عندها بضعة ايام . وهي تهوى الموسيقى الشجية من يد عالم ماهر ولا سيما المزهر وقد صممت ان اءمها .

سيلفيا (على حدة)

اللهم رحمتك !

زانيتو

اني لا استطيع ان اجدلي مهنة في قصرها ولكن نفسي تثور فيها عواطف الكبرياء والاعجاب. ويشاع انها ذات جمال ساحر وحسن باهر ومن عاش بجانبها لا يستنشق الا نسيما مشؤوماً مسموماً واني لموجس خيفة فما قولك ياسيدتي وقد ائتمنتك وجعلتك موضع ثقتي .

وانك نبذت ما عرضته عليك ولكن مهلا فانك لم تبتي الامر بعد . وليت شعري لِمَ ارتسمت هذه الفكرة في مخيلتي وهو ان قلبك يحوي

مفعم بحب يفوق حب الام لولدها وتودين لي الهناء والسعادة واني لتابع لارشادك ماعشت فهل اقصد سيلفيا ؟

سيلفيا (على حدة)

قد فهمت الامر وسيعود غداً هذا العابر الذي يسمى الحب بلفظه ومعناه بل هذا الخفي الذي ملأ قلبي حنواً ورقة وقد طوح به الى الحظ وان هو الا السعادة المارة وانا اطردها ! لا لا فالنفس لا تقوى على اخماد عواطفها الثائرة واني اريد ان . . .

زانيتو

الا تعيرينني سمعك قليلا فانك التزمت الصمت

سيلفيا (على حدة)

ان هذا لعار ولكني ساعتذر بان حظينا السيئين اختلطا مع بعضهما

(على مسمع منه)

اتريد رأيي ونصحي ؟

زانيتو

اجل

سيلفيا (بعد سكوت برهة تتكلم بتكلف عظيم وشدة)

اطعني ولا تقصد هذه المرأة التي تدنست بالعار وانك لغر لا تعرف هذه الامور حدث سليم القلب بسيطه لا تدري بما يحفك من الضرر والسوء

ولو اني لما لم استطع ان اؤيك واواسيك كنت والاسف ملء فؤادي اول رافضة لبغيتك ولـكني قادرة ان انجيك الآن مما سيحيق بك من المكروه لو انقدتَ لرأيك

وكيف وانت ابن الغاب الذي يسير فرحا مرحا تداعب الصدى[1] وتعدو وراء الطير ويظلك الغمام ويرويك الينبوع بزلاله البارد

انت الذي تيمتك الطبيعة بمحاسنها حتى خلا قلبك من كل شيء تصنعه يد الانسان . وتغني متهللا كالطير في سمائه وانت مبال الخدين بالندى تود ان تلج هذه الدار المشؤومة المحتقرة

اتدخل مع شمس الصباح بهوا[2] لم تكد تنتهي فيه وليمة الخلان لتدنس شفتيك النقيتين بكأس ابتذلتها الرفاق والاخوان وتأكل فضلتهم الفاضحة الممقوتة

اتود ان تقع في مهاوي الفسق بالنظر الى عينيها اللتين اذبلهما السهر وذهب بطلاوتهما العهر . فاتق الله في عينيك المزريتين بصفاء السماء وشعرك البهي العسجدي

اتطمع ان تنال من سيلفيا طعاماً ومأوى بانشودة او لحن . فعفوا ايها البريء الطاهر الذيل فاني اخاطبك بلهجة حادة قاسية مع اني في حاجة الى العفو والاغضاء وتراني الآن مضطربة ولـكن ذلك من فرط حبي لك كطفل تريد ان تنتشله امه من مخالب الهلاك

(١) رجوع الصوت في بعض الاماكن (٢) القاعة الفسيحة المعروفة (بالصالون)

فابق على حالك من جوب البلاد راتعاً في المروج النضرة الزاهرة والرياض الاريضة المونقة يصدح فيها مزهرك كتول[1] من النحل وان اكفهرت السماء فما عليك الا ان تذهب الى صاحب القصر الهرم أو القروي ريثما يروق الجو ثم تتم ترحالك . وان صادفك في طريقك في يوم باسم الصباح صافي السماء فتاة حقيرة ضربت من الملاحة والطهارة بسهم وافر وتليق لان تكون لك عروساً فعندها تلقي عصا الترحال . وتحط الرحال . وتعيش معها مطمئنا خالي البال . والحصاد مهنتك . فهناك ترى السعادة التامة والهناء العميم . والنعيم المقيم

زانيتو

اني لك مطيع ولكن ربما كانت هذه المرأة براء مما ألصقته بها الالسنة الحداد . ومن اخبرني بنبأها قال لي ان قصرها يكاد ان يكون هادئاً مطمئنا واني اعاهدك ان لا اعمها ما دمت تعلمين طلعها[2] ...

(يلمح من سيلفيا اشارة تألم)

عفوا فقد مسست منك جرحا داميا على ما اظن . اما قلت لي منذ هنيهة انك تقضين الحداد وذاك لا يكون الا لفقد حبيب عزيز او اخ او خطيب وربما كان ذهب ضحية لسيلفيا هذه

الم يكن ماجاش بخاطري قريباً من الحقيقة فكوني طيبة القلب وعفوا اذا تصورت انك تتسرب اليك عقارب الغيرة ظانة انني ارمي الى زواجها

(١) السرب من النحل (٢) خبرها

سيلفيا (وقد اكفهر وجهها)

لقد غرك ياصديقي الشك فاني لا آسف على أخ ولا حبيب ولـكنه طبيعي رحمة وشفقة على سيلفيا عالمة انها في الحقيقة اهل الآن لـكرم يحمي براءتها ولـكن واها لغرض قاس من مسير على الثلوج لاتستطيعه الاقدام. وهي في الباطن تكره الرشيق القوام الطاهر الذيل . فارحل واعلم ان جل نصحي لك ان لاتعرج عليها فهيا اذهب بسلام

(ثم تسمع بلهجة الالم)

انك لاتعلم حرج الموقف وما يشق عليّ من أمرك واجري عظيم ان ضللت خطواتك عن هذا الطريق واني لأستحق على هذا البر الجليل اكثر من الشكر والثناء الجزيل

(على حدة)

قد قضى الامر ولكن واأسفاه ان وقف على حقيقة امري

زانيتو

اني لا اعرج عليها اذا كنت حكمت عليها بحكمك هذا وسأرحل ولو اني لااجد اليوم الا قليلا من السعادة عما سبق لي من الحياة المشحونة بالوقائع التي صادفت فيها كل الابتهاج والبشر . وتصعب الراحة والمقام لمثلي لاني لمع لي بارق امل ضئيل من السعادة

وحينما رفضت ماعرضته عليك شممت من لهجتك حنوا ورقة

يخالطهما تأثر استنبطت منه انك تكتمين شجوناً عظيمة دليلها القاطع لفظة التأسف الحلوة

سيلفيا (تناوله خاتماً)

لقد صدق ظنك ! فخذ هذا الخاتم تذكاراً

زانيتو (باشارة رفض)

لا ياسيدتي وانه لحلى طراز قديم من ذهب جيد ومزين بفص كبير من الماس النادر وهذا مالا استطيع قبوله فشكراً لك. وكيف اقبله وانت ارملة فقيرة

سيلفيا (على حدة)

ليت شعري هل عرف جليّ حالي وعلم من اين جاءتني هذه الحلي المشؤومة ؟ اراه التزم الصمت وينظر اليّ نظرة تغض مني الطرف حياء وخزيا

(بصوت عال)

ماذا تود ان اعطيكه؟

زانيتو

اشتهي تذكارا لاعطاء واحساناً شيئا لايقوّم بقيمة ولكنه عزيز عندك . ابغي هذه الزهرة الذابلة التي كادت ان تجف في شعرك الفاحم

سيلفيا (تعطيه الزهرة)

واأسفاه ! فخذها وقبل طلوع النهار ستذبل هذه الوردة في يدك واملي ان تذكرك عهدي بان تنساني عند ماتذبل . واني اودعك الآن ايها العزيز

زانيتو (يقترب من سيلفيا وهي تبتعد عنه)

سيدتي ! لي كلمة اخيرة اقولها والاضطراب يلعثم لساني واخاف ان آخذ طريقي الابدي وكما يخيل الى اني ضللت طريق السعادة ولا مسلك هنا يوصل اليها فعليك اختيار احب الطرق لاسير فيه فامعني الفكرة والبصيرة. وسأستقبل الجهة التي تشيرين اليها متكلا على الله وحسن حظي

سيلفيا (وقد صعدت الى وسط سفح البيت)

(مشيرة الى الجهة المقابلة للمدينة)

اذهب الى ناحية الفجر

(ثم يخطو الى سيلفيا بعض خطوات ولكنها توقفه باشارة منها فيذهب يائساً)

سيلفيا (وهي وحدها)

(تمسك آونة متكئة على مرفقها ناظرة الى زانيتو وهو يبتعد ثم تغطي وجهها وتبكي بكاءً مراً)

بارك الله في الحب فاني الآن استطيع البكاء



Edmond Rostand

ايدمون روستان

بدر بزغ في سماء الشعر وفن الروايات التمثيلية ولد بمرسيليا سنة ١٨٦٨ وقد ابتدأ في عالم التأليف بمجموعة في النظم سماها (اللهو بالترهات والسفاسف) جمعت بين البلاغة والرقة . ثم ظهرت اول رواياته التمثيلية (المولعون بسير ابطال القصص) سنة ١٨٩٤ وهي نظمية ذات ثلاثة فصول حوت روح (ماريڤو[1] Marivaux) واسلوب (بانڤيل[2] Banville) ثم اتبعها برواية (الاميرة البعيدة) سنة ١٨٩٥ وهي طاية النظم منسجمة العبارة استخرجها من سيرة من القرون الوسطى وبعدها بسنتين مثلت رواية (السامرية) وهي مستنبطة من الانجيل بديعة القريض رقيقة العبارة

وأهم مؤلفاته رواية (سيرانو دو بيرچيراك) سنة ١٨٩٧ وهي شعرية حماسية ذات خمسة فصول اهتزت لها اعطاف البلاغة طرباً وسارت بذكرها الركبان أوجد فيها مشرباً في الشعر مضادا لمذهب المحققين الفاضحين الذين يكشفون جميع ما استتر بلهجة تهكم قارصة وهي في النظم

---

(١) كاتب روائي مشهور بسيط الانشاء سلسه رقيق العواطف ولد سنة ١٦٨٨ ومات سنة ١٧٦٣ (٢) نابغة من شعراء المذهب المطلق مشهور بمتانة قريضه وبلاغة شعره ولد سنة ١٨٢٣ وتوفي سنة ١٨٩١

بيت القصيد من شعر المؤلف تضم بين سطورها حماسة وحمية وشجاعة ومروءة منسجمة القوافي شائقة المعاني

وفي سنة ١٩٠٠ كتب رواية (الهيثم)[1] وبطلها (الدوق دوريشتاد) اي نابليون الثاني وقد صادفت اقبالا عظيماً وتحلت بمحاسن السابقة

وقد انتخب المترجَم في المجمع العلمي الفرنسي سنة ١٩٠٢ واصبح أمير الشعراء وله عدة قصائد نشرت على حدة وكان لها استحسان عظيم

وفي سنة ١٨٩٠ ظهر ديوان في الشعر لاحدى الآنسات وهي في ربيعها التاسع عشر باسم (المزامير) بديع النظم رائق المعاني لا يشوبه التكلف فدهش المجمع العلمي حينما قارن بين عمر الفتاة وديوانها العظيم ومنحها جائزة عظيمة . فتزوجها شاعرنا هذا في السنة التي ظهر فيها ديوانها وهي السيدة (روزموند ايتيينيت چيرار) من الشعراء المشهورين ولدت بباريس سنة ١٨٧١ وهي ابنة (الكولونيل كونت چيرار) وحفيدة الماريشال (چيرار)



(١) النسر الصغير

ملخص رواية سيرانو

رواية حماسيــة ذات خمسة فصول بدئ بتمثيلها بباريس في ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٩٧ بمرسح (بورت سان مارتين) فحازت اقبالاً باهراً وكانت مجداً ونخراً للشاعر لما انطوت عليه سطورها من الفكاهات والهزل الرقيق والاسلوب الادبي الطلي ومتانة القريض والحماسة الشائقة والمعاني الرائقة والروح الفرنسية الصريحة. وهاك الموضوع :

تتبع سيرانو دوبيرجيراك (وهو من مشاهير شعراء القرن السابع عشر) الى « نزل البورجوني » وهناك احتشدت الجموع من سكارى وسراة وممثلين وموسيقيين وغيرهم . ثم امرج على طاهي الشواء واصناف الحلوى « راجنو » وكان شاعراً يضحك من رآه اذ كان يملأ اكياس الورق الذي يلف فيه الحلوى بقصائده وعند ما يأتي مشتر يقف امامه زمناً طويلاً ريثما يقرأ الطاهي قصائده المكتوبة على الاكياس وينثني واحدة منها اذ كان يضن بها وتذهب نفسه حسرات عليها

وهناك يدري سيرانو ان « روكسان » التي تيمه هواها تميل الى « كريستيان دونوفييت » فيصطحب مع هذا المنافس المزاحم ويدعوه ليسمع مع الجميع القصيدة المضحكة التي يصف بها انفه الكبير فيغرق الجميع في الضحك من هذه القصيدة التي حوت من الملح والفكاهات ارقها ويزينها الالقاء البديع والفصاحة التي منحها هذا الشاعر

وصار سيرانو يساعد كريستيان في استمالة روكسان بان يمليه الرسائل البليغة لحبيبته حتى اغترت به وظنته انه هو المحرر لها وازداد حبها له بفضلها .

ثم ننتقل بالقارئ الى بيت روكسان فنرى كريستيان واقفاً بعد الغروب تحت طنف البيت وقد علته الكآبة واكمده الاسف فينظره سيرانو وهو مار فيستغيث

به كريستيان لينتشله من ورطته لانه كان عيا فظا. وقد ارادت روكسان ان يجالسها للسمر فكان لا يعرف ان يخاطبها بكلمة غير قوله : « احبك » وصار يكررها حتى سئمت منه وقالت له حدثني عن الحب وكيف يكون فلم يحر جواباً فقالت له عبر عن وجدانك وشعورك على الاقل . فما كان منه الا ان لبث امامها كالبهيمة لا يدري غير قوله « احبك » حتى ضايقها وطردته

ثم رق له سيرانو ووعده بالمساعدة واختبأ تحت الشرفة واشار عليه بان يناديها فاطلت من نافذة الطنف وصار يلقنه سيرانو الجواب بعبارة بليغة واشارات دقيقة حتى ادهشها بفصاحته ومنحته القبلة التي طلبها منها في عرض كلامه حينما رآها رضيت عنه بعد نفورها وغضبها ثم تزوجت به بعد مدة قصيرة

ثم سافر سيرانو هو وكريستيان الى معسكر « اخوان الجاسكونيين » ضمن الجنـد الذين سافروا وتبعت روكسان زوجها وهناك قتل كريستيان برصاصة من الاعداء ودفن معـه سر الغش والخداع الذي رتبه سيرانو ولعب دوره برشاقته المعهودة . وبعد موت كريستيان لبست روكسان ثوب الحداد ودخلت الدير

وبعد اربعة عشرة سنة التقت بسيرانو وصار يتردد عليها في بعض الاوقات ويقص عليها سيرته الماضية واخباره سنة بسنة . وحبه لها ما فتىء يجري في عروقـه مع دمه الى ان اتى يوماً من الايام وقد اغتاله احد الخدم وضربه بالسيف على ام رأسه فضمد جرحـه وذهب الى روكسان لينظرها النظرة الاخيرة قبل موته واعترف لها استدراجياً بحبه وانه هو الذي لعب هـذا الدور الختال وخلب روكسان وانه ما برح كاتماً حبه فتأثرت روكسان ورقت له ورثت لما قاساه هذه الاعوام الطوال بسببها وبكت وكان بودها لو يعيش وتقاسمه هـذا الحب العذري والوفاء والاخلاص ثم قبلته في جبينه وهو يعترف لها بآخر كلمة الى ان اسلم الروح بين يديها

سيرانو د وبيرچيراك

Cyrano de Bergerac

Scène du Balcon

(منظر الطنف [١])

روكسان

بخ بخ اهـذا انت ؟ قد خيم الظلام فانتظر اذ ابتعد الجمع والهواء لطيف والطريق قفر فلنجلس لنتجاذب أطراف الحديث. وهات ما عندك فاني صاغية

كريستيان

« يجلس بجانبها على المقعد وبعد سكوت برهة يقول »

احبك

روكسان (تقفل عينها)

نعم فحدثني عن الحب

كريستيان

احبك

روكسان

هذا هو الموضوع فانسج القول

كريستيان

انا . . .

(١) البلكون

روكسان

صغ القول

كريستيان

احبك كثيراً . . .

روكسان

بلا شك . ثم ماذا ؟

كريستيان

ثم . . . انني اكون مبتهجاً اذا احببتني ! — اجيبيني ياروكسان اذا كنت تحبينني

روكسان (عابسة الوجه)

انك تقدم لي الحساء [1] بينا اشتهي الزبدة ! فخبرني ببعض كلمات كيف تحبني

كريستيان

ولكن . . . كثيرا

روكسان

اواه ! . . . صرح بوجدانك وشعورك !

كريستيان

« وهو مقترب منها وناظر لعنقها الوضاء بعين ملوءها الشره والنهم »

بودي لو الثم جيدك ! . . .

(١) (الشربة)

روكسان

يا كريستيان !

كريستيان

احبك

روكسان (وقدهمت ان تقوم)

رجعت الى النغمة الاولى

كريستيان (وقد امسك بها)

لا ! فاني لا احبك !

روكسان

ان هذا لمن حسن الحظ !

كريستيان

احبك حباً شغف فؤادي

روكسان (وقد همت واقفة وابتعدت عنه)

اواه !

كريستيان

نعم . . . فقد صرت أحمق !

روكسان (بخشونة)

هذا لما تعافه نفسي كما انك تزداد قبحاً في عيني من وقت لآخر

كريستيان

ولكن . . .

روكسان

هيا اجمع فصاحتك الهاربة المشتتة

كريستيان

انا ...

روكسان

اعرف جيداً انك تحبني فاستودعك الله

كريستيان

لاتتسرعي فسأقول لك . . .

روكسان (تدفع الباب لتدخل)

بانك تحبني ... نعم واعلم ذلك. لا لا ! فاذهب بسلام

كريستيان

ولكني. . .

« ثم تقفل في وجهه الباب »

سيرانو (وقد دخل منذ هنيهة دون أن يرى)

هذا فوز باهر!

كريستيان

اغثني

سيرانو

لا ياسيدي

كريستيان

اني اموت اذا لم احظ منها الساعة بالقبول والرضا

سيرانو

وكيف استطيع ايها الاحمق ! اذ ليس في الامكان حتى ارشادك الآن

كريستيان (وهو ممسك ذراع سيرانو)

هاك انظر ! (يرى نافذة الشرفة مضاءة غرفتها)

سيرانو (وهو مضطرب)

نافذتها !

(كريستيان صائحاً)

سأموت !

سيرانو

خفض صوتك

كريستيان (بصوت خافت)

الموت

سيرانو

أرى الظلام حالكاً . . .

كريستيان

وما العمل ؟

سيرانو

الامر متدارك ولكنك لست اهلاً له .. . فقف ايها التعس امام الطنف واني سأختبيء تحته وألقنك ما ستخاطبها به من الكلمات

كريستيان

ولكن . . .

سيرانو

اصمت

الحاجبان (وقد ظهرا من بعيد يشيران الى سيرانو)

من ذا !

سيرانو

صه ! (ثم اشار اليهما بخفض صوتهما)

الحاجب الاول (بصوت منخفض)

نحن آتيان من مونفلوري اذ كنا نترنم تحت نوافذ الحسان على نغم العيدان

سيرانو (مسرعاً في كلامه)

هيا اكمنا في جوانب الطريق وان مر احد مضايق فاضربا لنا لحناً !

الحاجب الثاني

اي لحن ايها السيد الجاصاندي[1] ؟

سيرانو

لحن مضطرب ان مرت امرأة . ومحزن ان مر رجل !

(يفترق الحاجبان وينزوي كل منهما في ركن من اركان الطريق ثم يوجه خطابه الى كريستيان)

ادعها !

(١) نسبة الى مذهب الفيلسوف جاصاندي

كريستيان

روكسان!

سيرانو (وهو يلتقط الحصى ايرمي به الواح زجاج النافذة)

انتظر ريثما نجمع بعض الحصى

روكسان (وهي تفتح نافذتها)

من يناديني !

كريستيان

انا

روكسان

وما أنا ؟

كريستيان

كريستيان

روكسان (باحتقار)

اهذا انت ؟

كريستيان

أريد أن اخاطبك

سيرانو (وهو تحت الشرفة مشيراً الى كريستيان)

حسنا فتكلم بصوت خافت

روكسان

انك لا تفصح الكلام فاذهب بسلام

كريستيان

عفواً ؟ . . .

روكسان

لا ! فانك لا تحبني أبداً ؟

كريستيان (يلقنه سيرانو الجواب)

يالله ! تتهمني بادعاء الحب بينا حبي في ازدياد واشتعال

روكسان (وكانت عازمة ان تقفل النافذة فتوقفت)

عجباً ! فان هذا افصح من ذي قبل

كريستيان (ملقنا)

الحب يشب في قلبي متأرجحا في مهد روحي الحائرة فما اقسى هذا الطفل الذي اتخذ روحي مهدا له

روكسان (وقد تقدمت الى حافة الطنف)

هـذا من الحسن بمكان ! ولـكنك احمق لـكونك لم تخنق هذا الحب في مهده اذ وجدته قاسياً !

كريستيان (ملقنا)

لقد سولت لي نفسي ذلك وهممت به ولـكن بغير طائل فان هذا الطفل ياسيدتي اشبه بهرقل [1] صغير

روكسان

ما احسن هذا القول !

(١) اقوى الابطال في (الميتولوجيا)

كريستيان (ملقنا)

حتى انه خنق ثمباني الكبرياء والشك بدون ادنى مبالاة

روكسان

لافض فوك ! ولكن لِمَ تسرعت في الاندفاع في القول دون استدراج ؟ فهل اصبت في عقلك ؟

سيرانو (وقد جر كريستيان تحت الشرفة ووقف محله)

صه فقد اصبح الموقف حرجا ! . . .

روكسان

أراك اليوم تتكلم مترددا في القول فما الذي عراك ؟

سيرانو (متكلما بصوت خافت مقلداً صوت كريستيان)

قولي متردد لانه يتخبط في الغياهب باحثاً عن أذنك

روكسان

ولكن كلماتي لم تتعثر في مخارجها كما تعثر كلماتك

سيرانو

ستلقي هذه العثرات في القريب العاجل ! وهذا يأتي بطبيعته وان فؤادي لواع وحافظ لجميع قولك وهذا مما يدل على عظم قلبي وصغر أذنك اذ يلقف كلماتك اسرع من البرق ولكن كلماتي ياسيدتي حينما تصعد اليك يلزمها وقت كاف

روكسان

ولكني اجد انها تصعد اليّ منذ هنيهة اطيب من قبل

سيرانو

قد تعودت من هذا التمرين !

روكسان

اني احدثك من علو شاهق !

سيرانو

صدقت وانك لو رميتني من حالق [1] بكلمة قاسية لقتلتني !

روكسان (وقد همت ان تنزل)

انزل اليك ؟

سيرانو (بنشاط)

لا !

روكسان (مشيرة الى المقعد تحت الطنف)

أسرع وتسلق المقعد

سيرانو (وقدزاد اضطرابه)

دعيني انتهز ما تنفحني به الفرص من استطاعة التكلم بلطف دون مشاهدة

روكسان

دون مشاهدة ؟

سيرانو

نعم فان هـذا ليجذب القلوب . وانك ترين هذا الظلام المعتم وقد

(١) الجبل العالي

مد رواقه واني ألمح بياض ثوب من ثياب الصيف وما انا الا الظلمة وانت الضياء ! وانك لاتدرين فضل هـذه الدقائق عليّ ان انبعثت في بعض الاحيان من فمي الفصاحة والبيان . . .

روكسان

لقد أسعدتك البلاغة بنفحاتها

سيرانو

الى الآن لم يصدر كلامي من فؤادي [1] . . .

روكسان

ولِمَ ؟

سيرانو

لاني اذا اخاطبك وانا بين . . .

روكسان

بين اي شيء ؟

سيرانو

بين صواب مفقود وفكر ضال اذ لا يثبت احد امام ناظريك ! . . . ولكني يخيل اليّ اني سأخاطبك الآن للمرة الاولى!

روكسان

صدقت فانك تتكلم بصوت متغير

(١) لانه يتكلم عن لسان كريستيان ولم يبتدىء بالتعبير عن وجدانه وحبه

سيرانو

نعم متغير لاني في هـذا الليل الأليل الساتر الذي يحميني استطيع ان اكون انا نفسي واستطيع ان . . . (ثم يتوقف وقد كاد ان يغمي عليه) اين كنت ؟ لا أعلم . . . كل هذا — عفواً عن اضطرابي فقد ثملت من لذة هذا الموقف . . . لانه لي جديد غريب !

روكسان

جديد غريب ؟

سيرانو (وقد انهكه التأثر والاضطراب وهو مجتهد في تدارك كلماته)

نعم جديد غريب ان يكون صادقا : فان خوفي من ان يهزأ بي ويسخر مني [1] ليلدغني في سويداء قلبي . . .

روكسان

ولِمَ يهزأ بك ؟

سيرانو

من عامل جاذب ! ... نعم فقلبي يكتسي دائما بعقلي ونفسي تحدثني بان اقتلع النجم من سمائه ولكني اتوقف لغرابة الامر واستبدله بالزهرة

روكسان

ان الزهرة جميلة

سيرانو

فلنحتقرها الليلة

---

(١) لانه كان دميم الوجه كبير الانف ولم يظهر حبه خوفا من ان تهزأ به روكسان

روكسان

انك لم تخاطبني قط بمثل ما آنسته فيك الليلة من الرقة والبيان !

سيرانو

آه ! ان جرينا شوطا آخر في الكلام فهناك الكنائن [١] والشعل والسهام . والنجاة مقرونة بالاشياء الرطبة ؛ ولنشرب نهلاً بدلا من التعلل بكاس صغيرة من الذهب الابريز من ماء (لينيون) العديم الطعم وان سولت لنا النفس بان ترى كيف تروى الروح ان شربت نهلا وغبت من النهر العظيم

روكسان

ولكن أين النكات الادبية اللطيفة ؟ . . .

سيرانو

كان ما كان لأطيل مكثك معي والآن ان تكلمنا كما ترومين فكاننا نهين هذه الليلة وهذا الطيب الزكي والساعة الهنيئة بل الطبيعة البديعة مثل ڤواتور Voiture) وقصائده الصغيرة الرقيقة

ولندع السماء تجردنا من كل ماتتكلفه من القول بنظرة من داريها. واني لمشفق ان يكون في كيميائنا اللذيذة مايخشى عليه من تبخر العواطف أو ان النفس تنفد من ملاهيها التي تقتل بها وقتها بغير طائل وان لايكون المكر العظيم غاية الغايات

---

(١) جمع كنانة وهي جعبة السهام

روكسان

ولكن أين النكات الادبية ؟ . . .

سيرانو

اني لأمقت النكات في الحب ؛ وانه لمن الجرم في الهوى ان يستغرق فيه في المجالدة بالبيض الصفاح . وفضلا عن ذلك فانه يأتي في بعض الاحيان قسراً ولا يغني منه حذر

لهفي على الذين لم يدركوا هذه الاحايين القهرية ! التي نشعر فيها بحبنا الشريف الذي تشجينا منه كل كلمة رقيقة !

روكسان

وان وافتنا هذه الاويقات فماذا تخاطبني به من الكلمات ؟

سيرانو

كل مايجيئني منها أرمي به اليك مكوماً دون تنضيده كباقة الزهر : فاني اهواك واكاد اختنق من الحب وقد شغفني هواك وجننت منه وليس في الجهد احتمال اكثر من هذا. واسمك في قلبي كانه في جلجل . واني لارتعد حينما يهتز الجلجل فيرن داخله اسمك

لم أنس ذكراك ومحب لكل بادرة منك واذكر انني في العام الماضي في اليوم الثاني عشر من شهر ايار رأيتك وأنت خارجة من البيت صباحاً وقد غيرت ترتيب شعرك الذي كنت استضئ بسناه الساطع مثلما يحدق الانسان ببصره الى الشمس فانه يرى هالة ذهبية على كل مايقع طرفه عليه

روكسان (بصوت مضطرب)

نعم فان هذا من فرط الحب

سيرانو

حقيقة فان هـذا الشعور الذي يغالبني لغيور مزعج ولا مرية انه ناشئ من الحب وبه كل أوصاف الحدة المحزنة وفضلا عن ذلك فانه ليس معجباً متكبراً

ولو كان ينفعك ان أضم سعادتي وهنائي الى نصيبك منهما ليكون لك سهم وافر لفعلته لاني اسمع من بعيد ضحك ماتولد منهما مما ضحيته من حظي

كل نظرة من نظراتك تحدث فضيلة جـديدة وتعودني الجرأة . فهل فهمت الآن وصرت على بينة من الامر ؟ أتشعرين بروحي وهي صاعدة اليك في هذا الديجور ؟ واني لأحار في وصف جمال ليلتنا هذه ؟ واني أقص عليك كل هذا الحديث وأنت مصغية اليّ . ولم يحم أملي القانع على اكثر من هـذا ! ولم يبق لي الا ان أموت حيث بلغت غاية الغايات من الاماني والآمال !

وان كلماتي لهي التي هزت منك الاعطاف بين هاتيك الغصون كورقة يحركها الهواء بين أوراق الخمائل . وقد شعرت بارتعادك وعلمت انه وفق رغبتك اذ نمت أغصان الياسمين المتدلية بارتعاش يدك !

(ثم يقبل وهو تائه طرف غصن متدل من الياسمين)

روكسان

نعم واني لارتعد كالريشة في مهب الريح وأبكي اذ أحبك وانا لك فقد ثملت من حديثك

سيرانو

والآن فليأت الموت ! واني الذي عرفت كيف احدث هذه النشوة ولا اطلب سواها الا شيئاً واحدا . . .

كريستيان (وهو تحت الشرفة)

قبلة !

روكسان (ترجع القهقرى)

ماذا تقول ؟

سيرانو

اواه

روكسان

انك تطلب ؟ . .

سيرانو

نعم أنا . . .

(ثم يوجه خطابه الى كريستيان بصوت خافت)

لقد تسرعت وجريت لأبعد شأو

كريستيان

يجب ان ننتهز فرصة اضطرابها وننتفع بها

سيرانو (مخاطباً روكسان)

نعم ... طلبت ... حقاً ... فيالله ! لقد عاودني صوابي وعلمت انني زادت جرأتي

روكسان (وقد انخدعت قليلا)

الا تلح بعدها في طلب شيءٌ آخر ؟

سيرانو

نعم ! الح ... بل بغير الحاح فاني أرى الهموم تغالب حياءك ! واخيراً لا تمنحيني هذه القبلة !

كريستيان (وقد جر سيرانو من عباءته)

ولِمَ ؟

سيرانو

صه يا كريستيان

روكسان (وقد اطلت من الشرفة)

ماذا تقول بصوت خافت ؟

سيرانو

لاني جريت شوطاً بعيدا فزجرت نفسي قائلاً : صه يا كريستيان

(يسمع صوت العيدان)

مهلا ! . . . فقد جاء مار

(تقفل روكسان النافذة وينصت سيرانو الى انغام المزاهر)

(وقد ضرب أحد الحاجبين لحنا مطربا والآخر لحنا محزناً)

لحن مطرب ولحن محزن ؟ ... فما قصدهما ؟ هل أتى رجل ام امرأة ؟
لا فهذا راهب

(لنضرب صفحا عن دخول هذا الراهب ومحادثته فليس فيها اقل أهمية)

كريستيان

نل منها قبلة لي ! ...

سيرانو

لا لا !

كريستيان

هل فات الوقت او لم يحن

سيرانو

ستجيء هـذه الآونة التي تنتشيان فيها من لثم الثغور لكونك ذا شارب ذهبي وهي ذات شفة وردية

(ثم يخاطب نفسه)

وددت لو كانت هذه القبلة لسبب ...

(ثم يسمعان صوت النافذة وهي تفتح فيختبيء كريستيان تحت الشرفة)

روكسان (وقد تقدمت الى الطنف)

اهذا انت ؟ كنا نتكلم عن ... عن ...

سيرانو

عن القبلة! وانها لكلمة لطيفة لا أدري لِمَ لاتستطيع شفتاك النطق

بها . وان احرقتهما فماذا يكون الامر ؟ فـلا تزعجي نفسك لاجلها
اما كنت تتركين بغير ان اشعر المزح ثم تتسربين دون ارتباك الى
الابتسام متنقلة الى التأوّه ومنه الى ذرف العبرات . فما عليك الان تنتقلي
برشاقتك المعهودة من البكاء الى القبلة فما يخشى منها الا ارتعاد خفيف !

روكسان

اطبق فاك أيها الأفاك

سيرانو

القبلة ما القبلة ؟ وما ادراك ما القبلة؛ قسم او وعد او اعتراف يحقق
او نقطة وردية توضع تحت باء كلمة الحب بل سر مكتوم يلقفه الفم بدل
السمع او لحظة جمعت فاوعت من الهناء مالا يبلغه الوصف والحصر .
لها دويّ كدوي النحل بل تناول طعمه معطر كالازهار بل انها وسيلة
يستنشق بها رائحة القلب ويذاق بها من حافة الشفاه طعم الروح

روكسان

مه !

سيرانو

ان القبلة لاشرف مما تتصورين ياسيدتي واقد منحتها ملكة فرنسا
لأسعد لوردات الانكليز

روكسان

والنتيجة اذن !

سيرانو

عندي ما كان عند بوكنجام [١] من خفي التباريح والآلام واني احب مثله الملكة وما هي الا أنت وان هو الا انا مبلبل البال امين مثله

روكسان

اضربت من الملاحة بسهم وافر مثله ؟

سيرانو (على حدة)

حقاً لقد نسيت اني جميل !

روكسان

هيا اصعد لتقطف هذه الزهرة التي مالها من نظير . . .

سيرانو (دافعاً كريستيان نحو الشرفة)

اصعد !

روكسان

نعم تذاق منها القلوب . . .

سيرانو

اصعد

كريستيان (متردداً)

ارى انها ليست ملائمة الآن !

روكسان

نعم لحظة جمعت فاوعت من الهناء مالا يبلغه الوصف والحصر . . .

(١) احد لوردات الانكليز وعاشق آن دوتريش ملكة فرنسا

سيرانو (وقد دفعه)

اصعد ايها الحيوان الاعجم !

(كريستيان يصعد متسلقاً المقعد ثم يمسك بالاغصان ومنها يخطو الى الطنف)

كريستيان

آه ياروكسان ! . . .

(ثم يعانقها ويقبل ثغرها)

سيرانو

اواه ! اية لدغة غريبة اصابت فؤادي ! — ايتها القبلة بل يامأدبة الحب التي انا محييها لقد تساقط عليّ في هذا الغيهب بعض من فتات هذه المأدبة . نعم يشعر قلبي انه هو الذي حظي بهذه القبلة حيث انه على هذه الشفة التي اغترت بها روكسان لتقبل الكلمات التي فهت بها منذ هنيهة



Alphonse Daudet

الفونس دوديه

روائي فرنسي من النوابغ الذين يعدون على الاصابع ولد بمدينة نيم سنة ١٨٤٠ وتوفي بباريس سنة ١٨٩٧

وبعد ما لبث استاذاً لكلية (أليه) مدة يسيرة رجع الى باريس سنة ١٨٥٧ وفي السنة التالية نشر كتاب (العاشقات) وهو مجموعة نظمية وان كانت بها بعض مواضع ضعيفة لكنها من الرقة والسلاسة بمكان

ومكث نحو عشرة اعوام يحرر في الجرائد وللمراسح . وكتب (رسائل ثرثاري[1]) سنة ١٨٦٦. واهم قصصه ورواياته: (الشيء الصغير) سنة ١٨٦٨ (وتارتارين تاراسكون) سنة ١٨٧٢ و (قصص يوم الاثنين) سنة ١٨٧٣ و (فرومون الصغير وريزليه البكر) سنة ١٨٧٤ و (چاك) سنة ١٨٧٦ و (النابابِ[2]) سنة ١٨٧٧ و (الملوك في المنفى) سنة ١٨٧٩ و (نوماروميستان) سنة ١٨٨١ و (كُتّاب الانجيل) سنة ١٨٨٣ و (سافو) سنة ١٨٨٤ و (تارتارين جبال الالپ) سنة ١٨٨٥ و (الخالد) سنة ١٨٨٨ و (مرفأ تاراسكون) سنة ١٨٩٨ و (دائرة وظيفة الكاهن الصغيرة) سنة ١٨٩٥ و (عائل الاسرة) سنة ١٨٩٠ و (تذكار كاتب)

(١) الثرثار هو الكثير الكلام (٢) لقب هندى يمنح لمديري الاقاليم واضباط حاشية ملوك اسرة تيمورلنك

و (ثلاثون سنة بباريس) و (خلال حياتي ومؤلفاتي) سنة ١٨٨٨

وكتب عدة روايات تمثيلية نخص بالذكر منها (لارليزيين) وهي المؤلف الرئيسي للمترجم . وقد طار صيته في عالم الادب وزاده جمالا الموسيقي الفرنسي الشهير (بيزيه Bizet) مؤلف (كرمين) بان وضع لها موسيقى شائقة شجية ترقص القلوب طرباً وترنح الاعطاف بنشوة نغمها

ويعد كاتبنا هذا في مذهب المحققين حتى ان غالب قصصه تمثل الحقائق مرئية ومحسوسة بعين شاعر . ولو انصفنا في وصفه لقلنا انه شديد التأثير في كتابته . وكان مقتدراً في وصف الاشياء وصفاً صادقاً عارفا بالعادات والاخلاق وعلم النفس ومجيدا في المعاني المبتكرة وفن التمثيل . ولم يظهر في عالم الروايات القصصية في عصرنا هذا مؤلف يفضل (سافو) و (كُتّاب الانجيل)

La Dernière Classe

الدرس الاخير

هذا الموضوع وان كان بسيط الانشاء لكنه يضم بين أسطره غيرة وحماسة على اللغة والتمسك بها والتفاني في صيانتها والعناية بها اذ هي مفتاح سعادة الامة وسلم ترتقي به الى أوج المجد والفخار . وقد دعاني لكتابة هذا ماشاهدته من اهمال الناشئة للغتهم العربية وبذل مافي وسعهم لاتقان الانكليزية حتى ان كثيراً منهم وان كانت درجاتهم في العربية أقل بكثير من الانكليزية فانما يعطونها بكرم حاتمي

حدث صبي من الالزاس عن نفسه قائلا : قمت متأخراً صبيحة يوم الى المدرسة وقد أخذ الخوف مني كل مأخذ وخشيت ان يعنفني استاذي عما يحمر منه الوجه خجلا ويغض الطرف حياء وخزيا لانه نبه علينا بحفظ اسمي الفاعل والمفعول اللذين لا أعرف منهما حرفا واحداً . فخالجتني الفكرة بان لا اذهب الى المدرسة وامرح في الحقول والرياض وكان الوقت دافئاً والسماء رائقة والشحارير تغرد على الغصون بما ينسي الشجون . وكان الجند الجرمانيون يتمرنون في مرج (ريبير) وراء معمل نشر الخشب . ولكني غالبت نفسي ويممت المدرسة وحينما مررت على دار العمدة لاحظت جمعاً عظيماً مزدحما يقرأ اعلانات منشورة . ومنذ عامين وهذه الدار هي التي تنبئنا باسوأ الانباء من حروب خاسرة واوامر جديدة مضايقة . فقلت ترى ماذا جرى ؟

ثم ذهبت عدواً الى قاعة الدرس فرأيت أستاذنا المسيو هامل يمشي جيئة وروحة ثم قال لي اغنم مكانك فقد اوشكنا ان نبدأ الدرس دونك يا بني

فهرولت الى مقعدي وقد انصرف عني بعض الروع وشاهدت أستاذنا لابساً حلته الرسمية وكان لا يلبسها الا في يوم الاحتفال بتوزيع الجوائز او عند قدوم احد المفتشين

ورأيت بعضا من اهل القرية جالسين في قاعة الدرس فذهب بي العجب كل مذهب وشاهدت الجمع ساكتا ساكنا كأن على رؤوسهم

الطير بوجوه حزينة مكفهرة ثم صعد المسيو هامل على منبره وقال بصوت حوى بين الحلاوة والشدة :

« أولادي ! هـذا درسكم الاخـير الذي يجمعني وايا كم فقد صدر »
« الامر من برلين بتعليم اللغـة الجرمانية والغاء الفرنسية في الالزاس »
« واللورين . . . . وسيقدم غداً أستاذكم الجرماني الجديدواذ كان هذا »
« درسكم الاخـير الفرنسي فارجو منكم ان تعـيروني آذانا صاغية »
« وقلوبا واعية »

فانقطعت نياط قلبي من هذه الضربة الفاجعة وعلمت فحوى الاعلانات الملقة بدار العمدة فوا أسفاه على لغتي الفرنسية !

وانا الذي لا احسن الكتابة قد وقف بي الطالع المنحوس والجد العاثر الى هذا الحد. وكنت منذ هنيهة اود ان انقطع عن الدرس واجوب الخلاء . وكتب اللغة التي كانت تضايقني ظهرت امامي الآن كأعز صديق لا أقوى على مفارقته . وكما ان المسيو هامـل سيفارقنا من الغد ولا نراه بعد فقد نسيت عقابه وضربه

لبس كسوته الرسمية احتراما واحتفاء بهذا الدرس الاخير وكذلك حضر رجال القرية آسفين على ان لم ينتابوا المدرسة في اغلب الاحايين وليقدموا واجب الثناء والشكر لهـذا الاستاذ الجليل الذي ربى أولادهم وصيرهم رجالا منذ أربعين عاما

ثم جاء دوري وسألني في درسي فياليتني كنت ذاكرته والقيت الآن امام هذا الجمع اسمي الفاعل والمفعول بصوت جهوري واضح ولسان فصيح دون لحن أو خطأ . ولكني تلعثم مني اللسان بعد الكلمات الاولى وصرت واقفا أهتز بقلب غليظ مطرق الرأس خجلا متوقعاً زجر استاذي اذ قال لي :

« لا أعنفك ولا أزجرك يا بني وانك لتستحق العقاب وهاك »
« ما سيحيق بك . تقصرون في حفظ دروسكم وتؤخرون عمل اليوم »
« لغد حتى المت بكم هذه الفادحة وهي اعظم فاجعة داهمت الالزاس »
« لتسويف قومه في عمل واجبهم »

« اليوم يحق لاعدائنا ان يقولوا لنا كيف تدّعون انكم فرنسيون »
« وانتم لا تحسنون قراءة لغتكم وكتابتها ولكنك يا بني لست وحدك »
« الملوم بل نحن جميعنا »

« ان اهلك لم يوجهوا جلّ عنايتهم لتثقيفك بل كانوا يفضلون ان »
« ينتفعوا من ورائك ببعض دريهمات بان تشتغل في احد المغازل او »
« تفلح الارض . ويحق لي ان ارشق نفسي بسهام اللوم والتعنيف لاني »
« كنت اعطلك في بعض الاوقات لتروي حديقتي »

ثم انتقل استاذنا الى التحدث عن شأن اللغة وانها افضل اللغات الاجنبية وامتنها ويجب علينا ان نعض عليها بالنواجذ لان الامة اذا نشبت

فيها مخالب الاستعباد يكون املها في الخلاص والسعادة بقدر تقدمها في لغتها وتمسكها بها

ثم طفق يلقي علينا الدرس ويشرحه وقد رأيت اني فهمت جميع ما سرده بسهولة لم اعهدها واذكر انني لم اصغ مدة وجودي في المدرسة الى الدرس كذلك اليوم ولم يصبني ملل . وكأن استاذنا اراد قبل مبارحته لنا ان يلهمنا جميع معلوماته في درس واحد

ولما انتهى الدرس ابتدأنا في الكتابة وهيأ لنا استاذنا نموذجا جميل الخط كتب عليه . فرنسا . الزاس . فرنسا . الزاس . وقد عمل منه جملة صور فرقها علينا

فكانت امامنا اشبه باعلام تخفق امامنا نبهت منا القلوب واثارت الشعور واهاجت العواطف وهزت الافئدة حتى عم السكوت فكنت لا اسمع الا صرير الاقلام على الطروس

وبينما نحن سكوت اذ حط على سقف المدرسة سرب من بنات الهديل وانشأ يغني فقلت في نفسي . ليت شعري ايلزمون يوماً ما هذه الحمائم بان تغني باللغة الالمانية ايضاً ؟

كنت من وقت لآخر المح خفية المسيو هامل فكان جالسا لا يبدي حرا كا كاسف البال مردداً طرفه في بيته الصغير بالمدرسة تساوده الذكرى القديمة من تمضية اربعين سنة في هذا البيت وامامه قاعات الدروس وبفناء داره شجر الجوز الذي زرعه صغيراً من هذا العهد حتى

شمخ وملأ فضاء المدرسة وبجانبه حشيشة الدينار قد تسلقت على الحائط وزينت النوافذ ثم تسربت الى العرش وبينما هو على هذه الحالة من اسف لفراق معاهد شابت فيها نواصيه اذ نادته اخته ليساعدها في تجهيز الامتعة والحقائب ليسافرا في الغد

ولقد تشجع واعطانا الدرس الى نهاية الوقت ثم دقت ساعة الكنيسة مؤذنة بالظهر وأعقبتها موسيقى الجرمانيين وهم قادمون من التمرين فوقف أستاذنا وقد علاه الاصفرار وظهر بمظهر العظمة والهيبة قائلاً :

« ايها الاحباب الاعزاء اني ... »

ثم اختنق صوته من شدة انفعاله ولم يقو على اتمام حديثه فأخذ قطعة من الطباشير واتجه نحو اللوح الاسود وكتب بحروف متناهية في الكبر

لتحي فرنسا !

ثم مكث في موضعه ورأسه مسند الى الحائط وقد كاد ان يغشي عليه ثم أشار الينا بيده دون ان ينبس ببنت شفة باشارة تؤذن بالانصراف



Théophile Gautier

تيبوفيل جوتييه

من فحول النظم والنثر الفرنسيين ولد بتارب سنة ١٨١١ وتوفي بنويي سنة ١٨٧٢ . دخل باريس في مقتبل عمره فعالج اولا فن التصوير ثم انتقل الى الشعر وقرض بعض قصائد حازت استحساناً عظيماً

ولقد اعجب به الكاتب الشهير في الانتقاد (سانت بوف Sainte-Beuve) هو وفيكتور هوجو ومن وقتئذ اوجد له مكاناً رفيعاً في عالم الادب مدة الاربعين سنة التي مرت بعد ظهوره

وقد حرر في جملة مجلات وجرائد ووضع عدة كتب وكان شاعراً وروائياً وكاتباً في الروايات التمثيلية ومنتقداً مشهوراً وعالما بالآثار والفنون الجميلة مما شيد له مجداً حصينا وفخراً رفيعا . وكان له ابنتان احداهما من مشاهير الكتاب وهي (جوديت جوتييه) تزوجت بالشاعر العصري الشهير (كاتول منديس Catule Mendès) وانفصلت منه سنة ١٨٦٩ ولها من المؤلفات مايزيد عن العشرين كتابا

اما مؤلفات تيبوفيل جوتييه فعديدة جدا ومتفرقة وقد قدرت في ثلثمائة مجلد ونخص بالذكر منها الأهم

ففي الشعر : (البيرتوس) سنة ١٨٣٣ و (رواية الموت) سنة١٨٣٨ و (اسپانيا) سنة ١٨٤٥ و (الفصوص المنقوشة والميناء [1]) سنة ١٨٥٢ وهو من روائع البلاغة متين القريض منسجم العبارة

ومن اشهر رواياته :(ليچون فرانس) سنة ١٨٣٣ وفيها يضحك ويهزأ بعنفوان شباب المذهب المطلق و (مدموازيل دوموپين) سنة ١٨٣٥ وبها مقدمة مؤثرة و (فورتونيو) سنة ١٨٣٨ واخبار وقصص لا سيما (الملك كاندول وازيا مارشيلا) و (رواية الجثة المحنطة) سنة ١٨٥٨ و (القبطان فراكاس) سنة ١٨٦٣ وهي شائقة مضحكة فريدة في بابها من اسلوب رواية (الرواية المضحكة) التي وضعها (سكارّون Scarron) الشاعر المشهور وصاحب الروايات الهزلية

ووضع في الانتقاد الادبي : (من يهزأ بهم) سنة ١٨٣٣ وهو دفاع عن الشعراء الذين كادوا يسقطون من انتقاد (بوالو Boileau) مثل (سانت امان Saint - Amant) و (سكارّون) وغيرهما وكان الفضل في ارجاع مكانة هؤلاء الشعراء وقدرهم وشهرتهم راجعا لهذا الكتاب و (تقرير على القريض الفرنسي) سنة ١٨٦٨ و (تاريخ المذهب المطلق) سنة ١٨٧٤ و (تاريخ فن وضع الروايات التمثيلية من ٢٥ سنة) سنة ١٨٥٨

---

(١) جوهر الزجاج الذي يصنع منه وتطلق الآن على المادة الزجاجية الملونة التي توضع على الحلي حول الفصوص او وحدها

وجملة ملحقات روائية وتراجم خصوصاً للروائي الشهير (بلزاك Balzac)
والشاعر الشهير (بودلير Bodelaire)

وانشأ عدة كتب في الانتقاد الفني على معارض الصور والرحل
في اسبانيا والروسيا وايطاليا والآستانة وعدداً من الروايات التمثيلية
النظمية الصغيرة وغيرها

وشاعرنا هذا وان كان في بعض المواضع قليل الفكر والعواطف
لكنه متين الانشاء رقيقه ولقريضه شجو جديد . وقد اعاد شباب الشعر
المبتكر وكان كما وصفه (بودلير) شاعراً مجيداً خاليا من العيوب وعالماً
كاملاً اتى بالمدهشات في عالم الادب

Le Soulier de Corneille

حذاء كورني

هذه النكتة التاريخية وربما كانت فكاهة خرافية تمثل شاعر الفرنسيس كورني
وقد شاخ وافتقر واقفاً امام حانوت اسكاف حقير ليخصف نعلا لا يملك غيرها ودعاه
الحال لينتظرها ريثما يصلحها الاسكاف

في منعطف طريق بوسط باريس ازدحمت فيه السابلة وعلت جلبتهم
كان شيخ ماشيا الهوينا بقدم متثاقلة وشكل غريب غارقا في بحار تأملاته
وخياله غائصاً في الوحول وهو غير شاعر . مرتديا بعباءة لم يبق بها مسكة

وكان نظره كنظر النسر وفوداه[١] أبيض من لجين . يمثل بكبريائه وخيلائه الصور القديمة التي ابتدعتها بنان المهرة من المصورين الذين لو رأوه لاختاروا وجهه نموذجا للاوسمة النحاسية التي تمثل وجوه القدماء من المشاهير

وكان يخيل للناظر ان كل ثنية من ثنيات خده الغائر تدل على فكرة ويقرأ في عينيه السوداوين ضجر وملل

أشرقت الشمس بعد احتجابها وصفت السماء وكانت النواظر تغضي مهابة امام عطارد الذي يسمونه الدينار وقد قضى (بوالو[٢]) لياليه الثمينة في تمجيده وأتى (منصار[٣]) بالعجب العجاب للحصول عليه

ثم وقف كورني العظيم امام حانوت صغير بمكان قذر حافي القدمين منتظراً الاسكاف ريثما يخصف له نعله

ولقد كان يمشي (هوميروس[٤]) في أرضه المباركة على الرمل الذهبي عاري القدمين في طرق يونية وهو بثوبه الابيض الناصع كتمثال من المرمر صنعته يد (فيدياس) مصور التماثيل المشهور

ولو أتى هوميروس باريس ومشى بخفه دون ان يخشى الفضيحة

---

(١) الشعر الذي فوق الاصداغ (٢) شاعر وكاتب منتقد فرنسي (سنة ١٦٣٦ — سنة ١٧١١) (٣) مهندس فرنسي مشهور (سنة ١٥٩٨ — سنة ١٦٦٦) (٤) اكبر شعراء اليونان ومؤلف الالياذة والاوديسيه

لالجأه يوم مطير لان يرقع خفه كما حصل لمؤلف (اوراس) و (سينا)
وهو الذي بفضله أسعدت الهة الشعر المصور الطائر الصيت (ميكيل انج)
بنفحاتها العظيمة فأبدع في تصوير عظماء اليونان ايما ابداع

لويس أيها الملك العظيم ! ان هذا القصص الذي يعافه كل ذي ذوق
سليم او بكلمة واحدة هذا الحذاء المرقع لتجعل رقعه وصمات في ملكك
بينما المشاق ترفل في الدمقس وفي الحرير

واني ليحزنني ان أرى كورني يعاني البؤس ألوانا. وكيف هذا
الحانوت القذر وعرشك الفخيم رفيع العماد تزينه ازهار الزنبق ويختال
في بردين من زخرف وبهاء . وطيلسانك من المخمل الارجواني . فهلا
رعاك الله تعطفت بشيء على أمير شعراء عصرك وقد اناخت عليه الشيخوخة
حتى كاد يموت فقراً في زوايا النسيان. ولقد خلّفت نقطة سوداء في صحائف
تاريخك البيضاء وكلفا في وجه شمسك من تركك كورني بلا حذاء
وموليير بغير قبر

ولكن على م نغضب اذ ستتساوى الحظوظ ويجمعنا الموت سواء
ويجر النسيان ذيله على الملك ويطويه في خبر كان ويبقى ذكر الشاعر
حيا خالداً

وقد حفظ قصر فرساي تماثيل الندماء وذهب ما كان فيه من التملق
وغاض ماؤه الذي كان يزينه بنوافيره المتنوعة المديدة بعد ما كان مقر
الملوك . فمن خلد بعد موته العظمة ام العقل الراجح ؟ طلع الفجر على

احدهما وخيم الظلام على الآخر وظهر طيف لويس في حديقة فرساي التي اختطها (لونوتر) الشهير هائما على وجهه يتخبط في ليل أليل . وخلد ذكر كورني كاله من آلهة القدماء وما فتيء يرى وهو على منبره النيران والاضواء الموقدة احتفاء بعيده واعلاء لشأنه

وحينما يبلى تاج الملك الذهبي ويصير رماداً نرى غار[1] الشاعر معمراً[2] ناميا مخضراً نضراً بينا نرى الشاعر على مر الاعوام يعظم ويخلد ذكره والملك يتضاءل حتى ينسى .



(١) الغار شجر معمر معتدل القامة كان القدماء يعملون من اطراف قمته تيجانا للظافرين في الحروب (٢) المعمر في اصطلاح النباتيين الذى يعيش من النبات دائما

Pierre Corneille

بيير كورني

نادرة زمانه وغرة دهره في الشعر ولد بمدينة روان سنة ١٦٠٦ ومات بباريس سنة ١٦٨٤ وقد تلقى دروسه بمسقط رأسه بمدرسة اليسوعيين ثم أتم دراسة الحقوق

واول رواية تمثيلية ظهرت له (ميليت) سنة ١٦٢٩ واعقبها برواية (كليتاندر) و (الارملة) و (بهو القصر) و (التابعة) و (الميدان الملكي) وقد اتصفت هذه الروايات بحسن التعبير وشريف العادات

وفي سنة ١٦٣٣ قدم كورني الى الكردينال (ريشليو) وصار ضمن (الخمسة المؤلفين) الذين عهد اليهم الكردينال وضع الروايات التي رتب موضوعها بنفسه ولكنه انفصل بعد مدة صغيرة لانه لم يوافق مشربه

وفي سنة ١٦٣٥ ظهرت روايته المحزنة (ميديه) ولو ان بها بعض عيوب ولكنها تضم بين سطورها ما بثه خيال الشاعر وهو في عنفوان شبابه من القوة والحماسة والعظمة

ولملمه بفن وضع الروايات التمثيلية الاسبانيـة وضع تباعاً روايتى (الغرور المضحك) سنة ١٦٣٦ وفي السنة نفسها كتب رواية (السيد) التي رتب له موضوعها الشاعر الاسباني (جيلهيم دوكاسترو) وبهـذه

الرواية افتتحت الروايات المحزنة الفرنسية وارخت بها ودخلت في دور كمالها وتهذيبها . ولاتباعه لهذا الشاعر الاسباني صار نابغة في الشعر المقيد واميره في عصره وهذب ما كان في المؤلفات الاسپانية من الركاكة والضعف

وقد قوبلت (السيد) من الجمهور بحماسة وحمية خارقة للعادة ولكن اغلب الشعراء وكتاب النقد في عصره تألبوا على انتقاده ودونوا كتاباً سموه (النزاع في السيد) انتقدوا فيه على الشاعر لانه لم يدقق في مراعاة الاصول والقواعد وان الموضوع غير متين ولكن ذلك الانتقاد الموهوم لم يؤثر على نخر الرواية ومجدها الرفيع . والذي حرض الشعراء والمنتقدين على الشاعر هو (ريشليو) لانه كان يحسده على هذا النجاح والفخر ويغار منه . ولم يقتنع هذا الرجل العظيم الداهية الذي كاد ان يفترسه الطمع والنهم بالاستبداد بالسيطرة والهيمنة على فرنسا والخفض من الاسرة المالكة النمساوية التي كانت منها ملكة فرنسا (آن دوتريش) واضطراب جميع اوروبا امامه من سياسته ودهائه بل اراد ان يضم على هذه السعادة والسلطة والعظمة نظم الروايات ليبث فيها ما يهوى من سياسته الجهنمية لتكون معيناً وممهداً جديداً في التأثير على العقول وفق ارادته . فابتدأ يعالج نظم بعض روايات ولكنه لم يفلح ورأى ان رواية (السيد) قد سحبت ذيل النسيان على جميع مؤلفات عصره فالتهب قلبه حسداً وقام محاربا كورنيي بخيله ورجله اذ سلط عليه الشعراء والكتاب

وقد ثبط هذا الانتقاد همة الشاعر مدة من الزمن وضن على

المراسح برواياته نحو ثلاث سنين . ثم عاد الى الكتابة ووضع عدة روايات مواضيعها منتظمة استنبطها من التاريخ الروماني

فابتدأ برواية (اوراس) و (سينّا) سنة ١٦٤٠ و (پوليوكت) و (موت پومپيه) سنة ١٦٤٣ و (رودوجون) سنة ١٦٤٦ و (ايراكليوس) سنة ١٦٤٧ و (الكذاب) سنة ١٦٤٣

وفي سنة ١٦٤٧ انتخب كورني في المجمع العلمي الفرنسي وكتب من ذاك الحين (اندروميد) و (دون صانش داراجون) و (نيكوميد) سنة ١٦٥١ و (سيرتوريوس) سنة ١٦٦٢) و (اوتون) سنة ١٦٦٤

وقد ابعده عن المراسح بضع سنين سقوط رواية (پيرتاريت) ثم ترجم من اللاتينية شعرا كتاب (تقليد المسيح) سنة ١٦٥٦ وكان له اقبال عظيم ونجاح باهر

ثم عاد الى دور التمثيل بعد ان تركها ست سنين وظهر على المرسح ومعه رواية (ايديپ) سنة ١٦٥٩ قائلاً :

«اني لأحس بنفس الشعور والجرأة التي انتقدت(السيد) وحاربت»
«(اوراس) ولكني اجد اليد عينها التي خطت روح (پومپيه) العظيم»
«ودهاء (سينّا) »

امتاز شاعرنا هذا برنة الحزن المؤثرة في قريضه ولو أن شعره في بعض المواضع به بعض اهمال ونقص في الطلاوة والبهجة ولكنه رنان القافية وآية في الحماسة والحمية وشهامة النفس والاباء وقوة الارادة وثبات

العزيمة والتفاني في حب الوطن مما يدهش السامع ويأخذ بمجامع فؤاده ويحدث له نشوة طرب لاتوصف

Horace

اوراس

رواية محزنة (سنة ١٦٤٠)

الملخص

كان شيخ من رومية يسمى (اوراس) وله من البنين ثلاثة شبان وفتاة تسمى (كامي) وكان في مدينة (الب) التي كانت قديماً المدينـة المنافسة لرومية وقريبة منها شيخ آخر يقال له (كورياس) وله مثل اوراس ثلاثه فتيان وفتـاة اسمها (سابين) وكانت الفتاتان مخطوبتين كل منهما لشاب من هاتين الاسرتين

ولما انتشبت الحرب بين روميةوالب وكل منهماتتنازع الصولجان والسلطةوطالت بينهما الوغى ارادا ان يجعلا حداً لها ويحقنا الدمله واتفقا ان ينتخب كل من الفريقين ثلاثة ابطال يتنازلون بعضهم والفريق الغالب تكون لمدينته حق السيادة على الاخرى

فانتخب عن مدينة رومية اولاد اوراس الثلاثة وعن (الب) اولاد كورياس فوقعت الاسرتان في حيص بيص وتجاذبهما عاملان قويان : أيراعيان اواصر النسب وذمامه ويرفضان طلب الوطن وذاك محال ام يشهران السيوف في وجه اصهارهم وذاك صعب الاحتمال.واخيراً فضلا تلبية نداء الوطن • وبينا النضال مستعر بين فتيان الاسرتين كان اوراس الـكبير في منزله مع ابنته كامي وسابين ابنة كورياس ينتظرون

بفارغ الصبر نتيجة هذا القتال اذ دخلت عليهم سيدة رومانية اسمها (چوليا) وهي خليلة الفتاتين لتخبرهم بخبر المعركة

اوراس الكبير — سابين — كامي — چوليا

اوراس الكبير

ما وراءك ياعصام . اجئت يا چوليا مبشرة بالنصر والظفر ؟

چوليا

كلا ! بل بما حاق بهـذه المعركة من الشؤم والنحس اذ اصبحت منه رومية خاضعة لالب بعد هزيمة اولادك وقتلهم اذ لم يبق منهم غير الخاطب

اوراس

يالخطب عظيم ومصاب اليم وقتال مشؤوم اصبحت منه رومية تابعة لالب . ولوجالد لآخر رمق لحماها وصانها . لالا فذاك محال فقد خدعت ياچوليا اذ لايتأتى سقوط رومية الا اذا كان ابني في بطون الرموس فاني اعرف دمي حق المعرفة وهو يعلم مايفرضه عليه الواجب

چوليا

لقد رآه الف مثلي من ابطالنا وادهش الجموع اقدامه وبسالته قبل موت اخويه ولكنه لما لبث وحيداً امام ثلاثة اقران عتاد وقد اوشك ان يقع في قبضتهم لم يجد بداً من الهرب لينجو بنفسه

اوراس

ألم يجهز عليه ويخمد انفاسه جندنا المخدوعون ! امهدوا له سبيل الفرار من بين صفوفهم ؟

جوليا

اني لم ارد ان انظر شيئاً بعد هذا الخذلان

كامي

واحسرتاه على اخويّ

اوراس

كل ذلك عظيم مقبول . فلا تبكي الجميع لان اثنين منهما تمتعا بحظ جميل يحسدهما عليه ابوهما . جلل الله لحدهما بأنضر الورود والازهار . وقد استعضت عن فقدهما مجداً وسؤدداً . وسعادتهما التي تبعت بسالتهما التي خانها الدهر ان رأوا مدى حياتهما رومية رافلة في حال الحرية القشيبة ولم يشاهداها خاضعة لغير اميرها او تابعة لمملكة بجوارها

ابكي الآخر ونوحي على ما لحقنا من العار الذي لا يمحى . اندبي فراره الفاضح الذي وصمت به جباهنا وارثي للشنار الذي دنس امتنا والفضيحة الدائمة التي التصقت باسم اوراس

جوليا

ماذا تبتغي ان يعمل فرد ضد ثلاثة ؟

اوراس

ابتغي ان يموت او ان يعتريه يأس جميل فيعضده ويغيثه . هلا ارجأ

هزيمته آونة لينظر [١] فيها استعباد رومية وبحفظ وقارشيبي وكانت هذه البرهة ثمنا عظيما لحياته . وانه لمدين لوطنه بدمه اذ كل قطرة يضن بها منه تذهب بنضارة مجده

وما من لحظة تمر بعد هذا الدور الشائن الا وتظهر خزيي وعاره للملأ كالشمس في رابعة النهار . وسأقطع هذه الصلة واصب جام غضبي على ولد ليس للبنوة اهلا واريه حق الوالد واقتص منه بان اتبرأ منه على رؤوس الاشهاد جزاء فعلته هذه

سابين

ارعني سمعك وهون من غلواء حميتك وحماستك ولا تجعلنا في غاية التعس وسوء الحظ

اوراس

يسهل السلوان والعزاء على فؤادك يا (سابين) فان مصابنا لم يمسك بشيء يذكر ولم تشاطرينا في بؤسنا . وقد نجى الله بعلك واخوتك فان أصبحنا خاضعين مستعبدين فلبلادك اذ ظفر اخوتك حينما خاننا نكد الطالع . وانك ترين ارفع ذرى [٢] نخارهم ولا تنعمي النظر فيما لحقنا من الخزي . وهواك المبرح لهذا الحليل [٣] المرة سيجعلك في القريب العاجل تئنين منه مثلنا . وبكاؤك لاجله دفاع ضعيف واطلب من الالهة العظام وقدرتهم السامية ان تغسل وتطهر عار الرومان بدمه

---

(١) يؤخر (٢) جمع ذروة وهي قمة الجبل أو ما ارتفع من اعالي الاشياء (٣) الزوج الوغد

ثم يدري اوراس من فالير بالخدعة الحربية التي رتبها ابتداءاذ لم يقصد بهربه الا تفريق السكورياس الثلاثة ثم تفرد بهم واحداً بعد الآخر وقتلهم جميعاً . ولا يعاب بحيلته هذه فليس في استطاعة الفرد ان يكافح ثلاثة اقران

ولما رجع ظافراً الى دار ابيه كان اول من قابله اخته كامي وقد ايأسها وقطع آمالها موت حبيبها ولم تخش بكاءهامام اخيها فتوسل اليها ان تفضل حب الوطن على هوى حبيبها لان الروماني مدين بحياته لوطنه ولم يولد الا ليحميه فاجابته بصب اللعنات على رومية

لعنات كامي

رومية وهي بيت القصيد في اثارة غضبي وحقدي ! رومية التي لاجلها قتلت يدك الاثيمة حبيبي ! رومية التي شهدت مولدك وعبدها فؤادك ! رومية التي امقتها لانها منحتك هذا المجد والشرف ! سلط الجبار عليها جيرانها فتعاونوا على تقويض اساسها الذي كاد ينهار . وانلم تكفها امم ايطاليا فليتألب عليها اهل المشرقين بل مائة امة متحدة من اطراف العالم هي والبحار والاطواد تأتي لتخريبها . ولتنقض عليها اسوارها حتى تمزق بايديها معالمها ومحاسنها . وان تمطر عليها غضب القادر المستعر من دعواتي طوفاناً من نار متوقدة . واتاح الله لي ان اشاهد الصواعق تهوي عليها وارى بعيني دورها وقد استحالت رماداً وغارها [1] وقد صار غباراً

---

(١) شجر الغار وقد سبق شرحه

واشاهد آخر روماني وهو يحتضر في النفس الاخير وا كون انا وحدي السبب في دمارها ثم اموت من شدة وطأة السرور

(ثم يبدو اوراس الصغير وراء اخته والسيف بيده مسلول)

قد طفح الكيل ولم يبق في القوس منزع والحق وحده الذي يفسح للصبر مجالاً . فهيا اذهبي الى الجحيم لتأسفي هناك على حبيبك كورياس

كامي (وهي مجروحة وراء المرسح)

آه يالك من خائن غادر !

اوراس (وقد عاد الى المرسح)

هذا جزاء وفاق لكل مجترىء مهما بلغ شأنه تجاسر ان يبكي عدوا رومانيا

Que la Vérité parle au dedans du Cœur

Sans aucun brnit de paroles

ما اعظم الحقيقة تتكلم باطن القلب دون ان تلفظ بقول

ناجني ناجني يا رباه فعبدك مصغ لك : مقر بعبوديتي لاني عبدك واود ان اكونه واسير على سننك ليل نهار . افض عليّ بروح منك لتعلمني ما تفرضه عليّ ارادتك العلية القدسية ووحد رغائبي في سمع فضائلك الكريمة . وجرد بلاغتك الالهيـة من ساطع انوارها وصبها داخل فؤادي بغاية السكون مخضلة بالندى البليل جزيلة لطيفة

تخشون بلاغة القادر يابني اسرائيل وتظنون ان الصواعق والموت تتبعها مدمرة كل شيء . وانتم الذين لم توفقوا في الصحراء لاستماع كلامه العلي اذ قلتم لموسى :

« خاطب ربك والتمس منه ان لا يكلمنا فاننا نخاف ان تعترينا »
« غشية الموت من صوته الجهوري الرنان »

اني بعيد عن هذا الفزع والرعب فاتوسل اليك ربي اذ اتمنى غير ما تمناه بنو اسرائيل وقد هرولت اليك والأمن ملئ فؤادي لأتضرع اليك مع صموئيل [1] بكل خشوع اذ يقول:

« ولو انك الفرد الذي اخشاه لكنك الأحد العلي الذي آمل »
ان يسمعني : ناجني يا الهي فعبدك منصت مطيع »

لست في حاجة لموسى ليهديني سبيلك او لنبي غيره يفسر لي شريعتك اذ انت الذي تعلمهم وترسلهم ولا أتطلب الا صوتك العلي . وحيث انك مصـدر ما جاؤا به من الانوار التي كان لها الفضل في انارة ضمائرنا ففي استطاعتك ان تمنحني اياها كاملة دون توسطهم فانهم لولاك لما كانوا شيئاً يذكر

انهم يستطيعون ان يعيدوا كلامك ولكنهم لا يقـدرون ان يلقوا

(١) قاضي قضاة بني اسرائيل

روح معناه وتأثيره اذ لولاك لكان حديثهم صرخة في واد يهزأ به ويسخر منه

ومهما صاحوا واتوا بالعجائب في حديثهم وصدعوا بأمرك بحمية وعزيمة قوية فانهم لولا كلامك لدخل قولهم من اذن وخرج من الاخرى دون ان يؤثر على القلوب او يجد اليها سبيلا . وانهم يبذرون الكلم الغامض البسيط العاطل ولكنك تنير البصائر في ظلام الجهالة الحالك وتفيض من اعلى سمائك على رسالتهم المسئمة المملة روحا تحييها وتجعل لها قوة وتأثيراً

افواههم تبلغ رسالتك كالمعمّيات والاسرار ولكنك تعلمنا ما خفي من المعاني ولولا نفحاتك الربانية وفيوضك العلوية لما فهمنا مايلقونه الينا من شرعك وسننك . يدلونا على الطريق ولكنك أنت الذي تعطينامن القوة ماتستطيع به اقدامنا سلوكه لنهايته . وكل مايجيئنا منهم لايتجاوز الا الظاهر ولكن قدرتك تنفذ الى اعماق كل شيءٌ

لولاك لما سقوا الا ظاهر النفس ولكنها تستمد خصبها من قوتك اذ كل ماينيرها ويحمسها لا يصدر الا من قدرتك وارادتك

وقصارى القول ان هؤلاء الانبياء الذين ملأوا الارض قولا وصياحا اذا كانوا لايؤثرون على عقولنا مما افضت عليهم من نفحاتك القدسية لما عددناهم الا في عداد الاصوات الصائحة

صه اذن ياموسى ! وتكلم بدله ايها الدائم الثابت . ناجني ياحق لئلا

اموت مدفوناً في ثلوج تجردي من الفضائل . وان لم تزد نعمك العميمة وافضالك العظيمة رغبتي واشتياقي الى مناجاتك فالموت خير لي

وان لم يؤثر الوعظ على القلوب ولم يمس الا الظواهر كانت عاقبته وخيمة لانه يُسمع برغبة وقتية ويعرف من غير ان يحب ويؤخذ قضية مسلمة دون مناقشة وهذا مما يميت القلوب ولذلك اقتضت حكمتك وعدالتك ان تعاقب الجاحد وتجازيه جزاء وفاقا

ناجني اذن يارباه فعبدك الامين المخلص قد جمع حواسه وايقظها لتنصت الى مناجاتك اذ تجد حلاوة الحياة الدائمة في لهجتك الملية

ناجني لتعزي نفساً اضنتها الحيرة . ناجني لتقودها الى مايرفع شأنها. ناجني اذن فمجدك الرفيع ما زال ناميا سامياً

Stances à la Marquise

قصيدة الى المركيزة

ان كان وجهي ايتها (المركيزة) جعده الكبر فاعلمي انك لا تفضلينني حينما تبلغين ما بلغت من العمر . ومن شيمة الايام سرورها من اهانة[1] الانسان وستعبث بورد خدودك كما جعدت جبهتي . وكذلك تكون

(١) اي اهانته في قوته وجماله من تأثير الشيخوخة

الكواكب بسيرها ايامنا وليالينا . وقد رآني الناس وانا مثلك وسوف تصيرين مثل حالتي الآن

اني الآن حائز لمحاسن ومفاخر[١] شائقة ترد عني غائلة المخاوف والهموم من سطوات الدهر وحملاته[٢] . وانت مزدانة بما يحب ويعشق[٣] ولكن ما تحتقرينه مني يستطيع ان يستمر على الدوام بينا يذهب بهاء ما عندك وتنقضي نضرته[٤] ويقدر على نجاة نخو عينين تروقني ملاحتهما وتخليد ذكر ما يعجبني منك آلافا من السنين[٥]

وهذه الأمة التي تجاني لا تعتبرك من ربات الجمال الا بقدر ما قلته فيك . وافتكري ايتها المركيزة الحسناء انه ولو كانت النواظر تنفر من الشائب فجدير به ان يلاطف ويستمال اذا كان مثيلي

Les hommes doivent s'entre-secourir

يجب على الناس ان يساعد بعضهم بعضاً

تألم وتوجع من عيوب الناس دون ان تنبس بسخط او شكوى

---

(١) يقصد بمحاسنه هنا فضله وعلمه وادبه (٢) يريد بها وطأة الهرم والضعف (٣) اي بالجمال والمحاسن (٤) اي بعد انقضاء جمالها وزوال محاسنها يبقى ويستمر ما تحلى به الشاعر من الفضل والعلم على الدوام (٥) يقول ان فضله وادبه هذا قادر على تخليد محاسن هذه الجميلة وذلك بان نظمها هذه القصيدة فصارت الناس تذكرها بالجمال لغاية الآن الى مدى الازمان

مهما اتوا من كبائر العيوب واعلم ان كلا منا به منها ما يجعل الناس تئن منه . وان كان ضعف عزيمتك يضع امامك من العقبات ما يحول دون امانيك فكيف تطلب هذه المعجزة من غيرك كما تريد وتهوى ؟

أليس من الظلم البين ان تبتغي من غيرك ان يكون كاملا بينا انت مغموس في مساوئك ولا تروم ان تطهر نفسك منها لتكون نموذجاً لغيرك ؟

ولو كان الكل كاملا لاستراح الناس ولم يلاقوا في الدنيا ما يتألمون منه ويحتملونه لوجه الله ولم يجد هذا الصبر المشبع بالفضائل مسوغاً له . ولكن حكمة الحكيم اقتضت غير ذلك

لم يحرز احد نهاية الكمال في الطيبة والجمال . وما برأنا[1] الخالق ليعفينا من ان يحمل البعض عن الآخر اثقاله واعباءه بدوره

ما من احد خال من العيوب وضعف العزيمة غير محتاج للمعونة ويكفيه عقله وحده لان يكون عاقلا كيساً او عزيمته وحدها لان يكون قادراً قوياً

فالواجب علينا اذن ان نحاب ويعلم بعضنا بعضاً ونتعاضد في اعمالنا ونتبادل اليقظة في سلوكنا ونتعاون في الاستشفاء من الادواء[2]

(١) خلقنا (٢) جمع داء .

Jean Racine

جان راسين

نادرة من الشعراء المفلقين الفرنسيين الذين مهروا في الشعر المحزن
ولد بمدينة (لافيرتيه ميلون) سنة ١٦٣٩ ومات بباريس سنة ١٦٩٩ .
مات ابوه وامه وتركاه يتيماً في الرابعة من عمره وادخل في العاشرة مدرسة
(بوفيه) وفي السادسة عشرة الحق بمدرسة (بورروياّل) لتتميم دراسته
وكانت اساتذته فيها (نيكول) و (هامون) و (لانسيلو) وقد صيره
هذا الاخير من نوابغ العارفين باحوال قدماء اليونان وتاريخهم وآدابهم ثم
درس الفلسفة بكلية (اركور)

كان هو و (لافونتين[١] LaFontaine)و(موليير[٢] Moliére)
و (بوالو — Boileau) تربطهم عرى الوداد والصداقة ففي سنة ١٦٦٤

(١) الشاعر الفرنسي الشهير الذي نظم قصصه المشهورة عن لسان الحيوانات
سنة (١٦٢١ — ١٦٩٥) وهو أعظم شاعر في هـذه النوع وترجمت قصصه الى
اغلب اللغات وعربها الشاعر المجيد عثمان بك جلال وسماها العيون اليواقظ في الامثال
والمواعظ (٢) كاتب نابغة من الفرنسيس سنة (١٦٢٢ — ١٦٧٣) وهو اعظم شاعر
في الروايات المضحكة واول من ابتدعها ولم تظهر لغاية الآن رواية تضارع رواياته
حتى صار فريداً لا يجاريه مجار وكان ممثلاً ماهراً ورئيس جوق

مثّل له (موليير) هو وجوقه روايته الاولى (لاتيبايد)ثم اعقبها برواية (اسكندر الاكبر)

وفي سنة ١٦٦٧ وهو في السابعة والعشرين ظهرت روايته الشهيرة (اندروماك)وبها طارت شهرته واثبتت اقتداره الفائق في فن وضع الروايات ومن ذاك الحين تتابعت مؤلفاته وكلها آيات معجزات تعاقبت في ظرف عشر سنين وهي : (المحامون) سنة ١٦٦٨ رواية مليحة النكات وست روايات محزنة وهي : (بريتانيكوس) سنة ١٦٦٩ و (بيرينيس) سنة ١٦٧٠ و (باجازيت) سنة ١٦٧٢ و (ميتريدات) سنة ١٦٧٣ و (ايفيجيني) سنة ١٦٧٤ و (فيدر) سنة ١٦٧٧

دخل في المجمع العلمي الفرنسي سنة ١٦٧٣ وكان من المقربين عند الملك لويس الرابع عشر اذ جعله مستشاراً له ومؤرخاً

وبعد مابلغ هذا المجد الرفيع اعتزل المراسح وهو في السابعة والثلاثين من حملات الكتاب والشعراء الظالمة على رواية (فيدر)ورموه بوساوس دينية بالنسبة لعواطفه ووجدانه في اعترافاته في هذه الرواية

ثم تزوج بفتاة ساذجة تقية تدعى (كاتيرين رومانيه) ورزق منها بخمس بنات ترهبت منهن اثنتان وولدين احدهما (لوي راسين)وكان من مشاهير الشعراء والكتاب

لبث هاجراً المراسح اثني عشر عاماً ثم الحت عليه مدام (مانتينون) بان يكتب روايتين لفتيات مدرسة « سان سير » ويكون موضوعهما مستنبطا

من التوراة فاجاب طلبها ووضع رواية « ايستير » سنة ١٦٨٩ و « اتالي » سنة ١٦٩٠ ومثلتهما بنات المدرسة السابقة فحازت الاولى اقبالاً عظيماً ولكن الثانية لم تصادف ما احرزته الاولى ولو انها ابلغ ماخطه بنان الشاعر والسبب راجع الى التمثيل لان الفتيات لم يحسنوا تمثيلها واطفأوا بلاغتها المتوقدة

وكتب نثرا « ملخص تاريخ بورروبال » وجملة رسائل بليغة وقطعاً تاريخية . ويشاع ان الملك لويس الرابع عشر غضب عليه في اواخر ايامه فاغتم غماً شديداً اودي بحياته

ان قارنا رواياته المحزنة بروايات كورني نجدها مطابقة مثلهاالقاعدة « الواحدة » المتبعة في الشعر المقيد وهي تشترط في ثلاثة امور : « بساطة الموضوع » و « حصوله في يوم واحد »و«وقوعه فيمكان واحد او مدينة واحدة»

وتماثلها أيضاً بقلةاشخاصها اذ كان يهمه ان يمثل موضوعاً ادبياًيجاذب قلب الابطال تمثيلاً صادقاً يقرب من الحقيقة . وتفترق روايات راسين عن روايات كورني فيخمسة أمور :

اولاً — انها اقل حماسة وتأثيراً واشخاصها القريبون من الحقيقة ضعاف العزيمة كاغلب الناس وعواطفهم ليست دائماً شريفة ولا اعمالهم خارقة للعادة . فلذلك قال «لا برويير[1] « La Bruyére » : « كان كورني

(١) كاتب فرنسي مشهور في الاخلاق سنة (١٦٤٥ ـ سنة ١٦٩٦)

يمثل الناس كما يليق ويجدر بهم وراسين يصورهم كما هم عليه »

ثانياً — مؤلفاته كلها ماعدا «ايستير» و «اتالي» مفعمة بالعواطف المادية العامة من حب يختلف بين الرقة والحياء والشدة والنحس والجرم. ولكن كورنيي وضع الحب في صف ثانوي واتبعه بعواطف راقية شماء كالشرف وحب الوطن . وترى في روايات راسين ان النساء تحرز المكان الارفع فلذلك تحدث الناس بابطال كورنيي الذكور وفرسان راسين الاناث

ثالثاً — انها لا تثير من النفوس حميتها وحماستها واعجابها مثل كورنيي ولكنها تحدث تأثيراً مغايراً كأيقاظ الشفقة في القلوب والهموم والمخاوف وبث عواطف الحب ولكن كورنيي ترنم بشعور العظمة والاباء وعزة النفس

رابعاً — ان كورنيي كان ينسج اشخاص مؤلفاته الذين استنبطهم من العصور القديمة مبادئ الشهامة والمروءة والتبجح باعمالهم الجليلة ولكن راسين كانت رواياته مرآة تنطبع فيها أحوال عصره واخلاقهم وعواطفهم ومبادئهم الاجتماعية تحت حكم لويس الرابع عشر

خامساً — انشاء راسين متين متساوي الاطراف شائق نقي شجي تلبسه جرأة متوارية

Iphigénie

نبذة من رواية ايفيجيني

اختطف (باريس) بن (بريام) ملك طروادة (هيلانة) زوجة (منيلاس) ملك اسبرطه فاستشاط غضب اليونان واجمعوا على حصار طروادة وتخريبها وحشدوا جيشاً عظيماً وجهزوا اسطولاً في ميناء (اوليس) بقيادة (اجاممنون) اخي (منيلاس) وابي (ايفيجيني) ولكن خانهم الرياح ولم يستطع الاسطول ان يقلع لانه كان شراعيا فاصبح الكل يتلهب غيظاً لما طال المدى عليهم وهم منتظرون بلا طائل . فاستشار اجاممنون الوحي بواسطة العرّاف (كالكاس) فرد عليه قائلاً : ان الرياح لا تهب الا اذا ضحت اليونان فتاة من دم يوناني قرباناً للآلهة وظهر له ان هذه الفتاة هي ايفيجيني

وقد طلب اجاممنون ابنته في المعسكر ليحميها من الهلاك مدعياً انه ماطلبها الا ليزوجها اشيل اعظم ابطال جيشه ولكنه وبخه ضميره فارسل اركاس تابعه الامين ليمنعها عن المجيء وكان ذلك بمدفوات الوقت اذ حضرت ابنته ووالدتها(كليتمنيستر) والفتاة (ايريفيل) اسيرة اشيل وكانت هذه الاخيرة هائمة بهذا البطل فبذلت وسعها لتستحوذ على فؤاده وتنسيه ايفيجيني

ورغماً عما بذله اجاممنون من التكتم فقد أنبأ أركاس والدة ايفيجيني بامر الآلهة وخضع اجاممنون لمشيئة الوحي وجاء يطلب ابنته بنفسه ليقودها الى كالكاس

ولما سمع اشيل هذا الخبر اقسم بان يدافع عن ايفيجيني بينا تعاتب كليتمنيستر زوجها على هذه الخيانة • وكان الملك في اول الامر متكبراً معجباً غير متأثر ولكنه رق اخيراً وتعطف على الفتاة وامها واشار عليهما بالهرب لينجوا من هذا المصاب

الاليم ولكن ايريفيل نمت بما تم من امر الملك الى اليونان . وبينا ايفيجيني ماشية بعزم قوي الى المذبح اذ قال العراف كلكاس بان ايريفيل من دم يوناني ايضاً وهي التي تجب تضحيتها فانتحرت الفتاة حينما سمعت هذا ونجت ايفيجيني وهبت الرياح كما اشتهت السفن وسافر الاسطول واشتفت قلوب ابطاله بعد ما يئسوا من الانتظار الممل

اجاممنون — كليتيمنيستر — ايفيجيني — ايجين[1]

كليتيمنيستر

تعالي بنيتي فانهم لا ينتظرون غيرك اذ انت ضالتهم المنشودة . تعالي لتشكري اباً يحبك ويود ان يقودك بنفسه الى المذبح[2]

اجاممنون

مالي اراك بنيتي ساجمة العبرات غاضة امامي الطرف ؟ ما الذي اثار منك هذه الشجون وابكاك انت ووالدتك . لقد خانني التعس اركاس

ايفيجيني

سكن من اضطرابك وكن هادىء البال يا أبت فأمرك مطاع عند اول اشارة . وما حياتي الا من طولك ونعمتك وعاريةٌ تريد ان

(١) تابعة لكليتيمنيستر (٢) تقول ذلك بتهكم

تستردها . ونحن مستمعون لارادتك بعين قريرة وقلب خاضع كما قبلت الزوج الذي وعدتني به وتراني اذا لم يكن لنا مناص من الامر ضحيـة مطيعة تعرف أن تمد رأساً بريئاً الى سيف كلـكاس محترمة هذه الضربة القاضية التي سمحت بها ارادتك لأرد اليك دماً منحتنيه

وان كنت ترى ان هذا الاحترام والطاعة يستحقان ان يكافآ بجزاء آخر وانك مشفق على آلام هذه الأم ورائف بها فانني اتجرأ ان اقول انه ربما صادفني من المجد والشرف ما احاط بحياتي من كل صوب مما لا يجعلني اتمنى الموت ولا ابغي ان القضاء المبرم يصل طرفيْ حياتي ويقرّب مولدي من مماتي

انا ابنة اجاممنون واول من ناداك بالوالد بل بهذا الاسم الجميل . وانا التي مضى عليّ ردح من الزمن وانا قرة عينك وانك لهذا الاسم [1] كنت تحمد الآلهة على نعمهم ولاجله كنت تغمرني بملاطفاتك التي ما الجأك الى الاسراف فيها الا موضع الضعف [2] من الابوة وحنانها وللاسف كنت اسرد والسرور ملء فؤادي اسماء البلاد التي ستدوخها متفائلة بانتصارك على (اليون [3]) وكنت اعد معدات عيد هذا الظفر

(١) أي انه كان يحمد الآلهة حينما كانت تناديه يا ابت على ان منحوه ابنة وصار لها ابا (٢) مواضع الضعف هي التي تؤثر على الانسان وتتغلب عليه كحنان الابوة ولو كان الاب قاسياً مع جميع الناس (٣) اسم آخر لمدينة طروادة

وما كنت منتظرة ان يُفتتح بان تهرق دمي ولا خوفي من هذه الضربة هو الذي يذكرني بطيبتك الماضية

لا تخش أمراً فان قلبي ليغار على مجـدك وشرفك ولا يجترىء ان يقترف ما يحمرّ من اب مثلك الوجه خجلاً . ولو كنت لا أفـكر الا في الدفاع عن حياتي لـكنت استطيع ان احفظ تذكاراً جميلاً . ولـكنك تعلم اسوء حظي وعثار جدي ان هناء امي وحبيبي مرتبط بي وان ملـكاً يجلك يود لو يرى يوماً يشهر فيه زفافنا الفخم

وثق حبيبي بقلبي الذي وعد بهواه وقد عد نفسه سعيداً حينما وعدته بزواجي . فما قولك في خوفه واشفاقه اذ يعلم قصدك . وترى والدتي امامك تذرف وابل الدمع فعفوا عما سولت لي به الآن نفسي لتداركـ عبرات تسيل بسببي

اجاممنون

لقـد قلت حقاً يا بنيتي . وليت شعري لأي جرم يطلب غضب الآلهة قرباناً لتكفيره ودعاك باسمك هذا الوحي القاسي ليهدر دمك على المذبح . وما كان شغفي بك منتظراً توسلاتك للذود عن حياتك بل طالما قاومت هذا الامر

اتظنين ان هـذا الحب الذي تعترفين به بنفسك وفي هذه الليلة أخبرت بأني اعلنت بطلان هذه الارادة التي جعلوني اقبلها لفائدة اليونان التي سينالونها منك. وذهب اركاس ليمنعك عن المجيء ولات حين مناص

اذ لم تشأ الآلهة ان يصادفك وخدعوا ما بذله اب تمس سيئ الحظ يحميك بلا طائل ولا جدوى مما صبوه عليك من العقاب الاليم

لا تعتمدي على قوتي الضعيفة في حمايتك والدفاع عنك فلا احد يستطيع ان يوقف حرية شعب عند حد ان ارادت الآلهة رفع نير الاستعباد عن عاتقه ؟

فاذن يجب عليك بنيتي ان تخضعي فقد ازفت ساعتك . وفكري جيداً في اي مرتبة ربيتِ ونشأت واني اعظك بهذه النصيحة التي لم اكد اتلقاها . واعلمي ان موتك اهون مما سأعانيه بعدك من الحسرات والالآم التي تهد شوامخ الاطود

اظهري عند موتك من اين اتيت واخجلي الآلهة الذين ظلموك بهذا العقاب الاليم واذهبي ليعرف اليونان دمي وهو سائل منك حينما يضحونك

كليتيمنيستر

انك لم تكذب اسرة منحوسة مشؤومة ومن اشبه اباه فما ظلم . نعم انك من دم (اتريه[1]) و (تييست). ألم يرق لك يا جلاد ابنته الا ان تولم بها وليمة فظيعة لأمها وانك ايها الوحش الضاري الذي دبر هذه الضحية بفنونك وحيلك! ألم يمنعك قبح هذا العمل وفظاعته عن قبول هذه الارادة البربرية القاسية

عجبي منك كيف تتصنع امام اعيننا بهذا الحزن الكاذب ؟ اتفكر

(١) والد اجاممنون وتييست اخوه وقتل الاخ الاول ابناء اخيه واطعمهم لابيهم

انك تخدعنا بهذه الدموع لتبرهن على حنانك وشفقتك ؟ واي حرب خضت غمارها لاجل ابنتك او دم اسلته لها ؟ ام اي اثر هنا يدل على مقاومتك او ميدان غطيته باشلاء الموتى ياجمنن ولا يدع لي وجهاً للكلام ؟ وباي شهود تثبت ان حبك لها سول لك نجاتها

حكم القضاء المبرم بقتلها ولا اظن ان الوحي يؤخذ من ظاهر قوله . وهل الآلهة العدل يشفون اوار غليلهم بهذا الموت الشريف وهذا الدم البريء ؟

وان كان بجرم هيلانة تؤخذ اسرتك وتنشد (ايرميون [1]) والدتها في ارجاء اسپرطه ويجعل منيلاس يسترد بثمن ناهيك به نصفه [2] الأثيم الذي هام به وتيمه

عجبي لك فأي جنون ألجأك لان تكون ضحية له وان تحمّلنا تبعة جرم أخيك ولِمَ ادعني امزق جيوبي غماً واعطيه دمي النقي ثمناً لحبه الاحمق ؟

ماذا أقول في هذا الامر الذي اثار غيرة الجميع . وتظن ان هيلانة التي عكرت صفو اوروبا وآسيا تستأهل ان تكون ثمناً لحروبك العظيمة ؟ كم من مرة حمرت وجوهنا خجلاً لاجلها قبل ارتباطها المشؤوم بزواج اخيك اذ اختطفها (تيزيه [3]) من ابيها كما علمت وانبأك به كلكاس واثتلف بها سراً واولدها بنتا اخفتها عن اليونان وكانت برهانا ساطعا لأثمها

(١) ابنة هيلانة (٢) يريد زوجته التي هي كقطعة منه (٣) بطل من فرسان اليونان ابن ايجيه وملك أثينه

واني لا اصدق ان حب الاخ وشرفه الموصوم هو الذي دعاك لهذا الاهتمام وعجلت لاجله . كلا بل امانيك في الملك التي لاتنطفئ من قلبك والاعجاب برؤية عشرين ملكا تخدمك وتخشاك ويعهد اليك بمقاليد امور المملكة التي عبدها فؤادك وتريد ان تضحي لاجلها ابنتك ايها القاسي الغليظ القلب ولا يحركك قلبك لترفض هذه الضربة الفاجعة التي تريد ان يكون لك بها فضل وحشي

تغار على ملك تُحسدُ عليه ان نلته وتود ان تبتاعه بدمك راغباً ان تفحم كل مجترئ أراد ان ينازعك فيه . اتعد اذن والداً ؟ آه ! ان فكري يسلم ويقر بقسوة هذه الخيانة

وذاك الكاهن الذي التفت حوله فئة ممن لا قلوب لهم ولا اخلاق يريد ان يمد يدا أثيمة الى ابنتي ويمزق احشاءها ويستشير الآلهة بعين زائغة وقلب خفاق . وأنا الذي اتيت بها وهي متهللة مستبشرة معجبة بجمال يسلب النهى ارجع على عقبيّ وحدي بخفي حنين يائسة بائسة ! وأرى الطرق مابرح عرفها الشذي متضوعا مما نثر تحت اقدامها من الازهار

كلا فاني لا اقودها الى العذاب او تضحيّ لليونان ضحيتان . ولا خوف او احترام يستطيع ان يفصلها مني او ينزعها من بين ذراعيّ الا بعد ان يدميهما . يالك من بعل وحشي وأب قاس. تعال لتريني كيف تقدر ان تنتشلها من بين يدي أمها . فادخلي اذن يا بنيتي واطيعيني على الاقل للمرة الاخيرة

Phèdre

فيدر

الملخص

رواية محزنة ذات خمسة فصول مثلت للمرة الاولى على مرسح (السكوميدي فرانسيز) في اول يناير سنة ١٦٧٧ وقد مثل فيها راسين غرام فيدر المحرم وهي زوجة (تيزيه) لابن زوجها (ايبوليت) الذي كان نموذجا للشرف والعفاف والطاعة البنوية وكان هذا الشاب عاشقاً لفتاة تدعى (اريسي) رقيقة العواطف ذكية الفؤاد قوية العزيمة وكان (تيزيه) يمثل ابا يرثى لحاله لما انتابه من المصائب كما يمثل (تيرامين) وهو مؤدب ايبوليت الفصاحة والبلاغة و (اينون) مرضع فيدر ذات نفس منحطة تخلص ولو في الاشتراك في الجرم

وأهم ماتدور عليه الرواية وبيت القصيد فيها هي أحوال فيدر المدهشة التي ربما كانت الاولى في بابها في جميع الروايات الفرنسية

كانت عواطف فيدر وغرامها المبرح قاسية شديدة دارت على جميع أوجه الحب من توسل ولعن وغضب وغرور وخرف حقيقي وكانت فيدر ليست عديمة الضمير بالمرة بل كان يجعلها تقاوم وتناضل وتتألم وتئن الى ان تابت قبل موتها . ولا داعي للتطويل في سرد هذه الحوادث لان اغلبها موجود في النبذة التي عربناها

نبذة من رواية فيدر

المنظر الثالث من الفصل الاول

فيدر — اينون

فيدر

فلنقف عند هذا الحد يا عزيزتي اينون فان جسمي لا يكاد يتماسك وخانتني قواي المضمحلة وكلَّ مني الطرف من النور الذي اراه وترين ركبتيَّ المرتجفتين توشكان ان تختفيا تحتي ولا يحملاني . فوا أسفاه على حالتي (ثم تجلس)

اينون

ايها الآلهة القادرون ؛ لترضكم عنا وتسترحمكم دموعنا المنهملة

فيدر

ما اثقل عليَّ من هذه الخُمر [(١)] والحلي والحلل التي لا طائل منها ولا اكاد استطيع حملها . واي يد منغصة عقدت مني الشعر ورتبته فوق جبيني ؟ اذ كل شيء اصبح يؤلمني ويؤذيني

اينون

يا لهذه الاماني التي خيبت بعضها بعضاً . وانك ساخطة على مقاصدك

---

(١) جمع خمار وهو ما تلف به المرأة رأسها

وهي غير عادلة اذ كنت تحرضيننا على تزيينك وحينما تعاودك ذكرى قوتك الاولى تريدين ان تظهري للناس وتشاهدي الضوء . وانك لتزينه ويوشك ان يحجبك اذ تكرهينه وانت التي سمت اليه قدمك واتيت تطلبينه [1] ؟

فيدر

ايها الجد الشريف المجيد لاسرة حزينة بائسة ! انت الذي افتخرت واعجبت بك امي بان كانت لك ابنة . وربما تخجل مما انا فيه من الاضطراب . وانت ايها الشمس قد اتيتُ لا تزود منك بالنظرة الاخيرة

اينون

مالي اراك لا تفارقك هذه الرغبة القاسية سائمة من الحياة مستعدة لها استعداداً مشؤوماً ؟

فيدر

ايها الآلهة ! ألست الآن جالسة في ظلال الغاب . فمتى استطيع ان تتبع عيني خلال غبار شريف عجلة [2] فارة الى المحجر ؟

(١) انهك الحب قواها وطرحها على فراش المرض ولم تخرج مدة من مخدعها فاشتهت ان تتزين وتخرج الى بهو البيت لتشاهد النور وتستنشق الهواء ولكنها ما مشت غير خطوات قليلة الا وخانتها قواها فجلست من شدة ضعفها وطفقت تلعن النور الذي تشاهده واليد التي زينتها (٢) العجلة هي العربة وهذا القول خرف عند نوبة اختلاط عقلها من المرض وفرط الحب

اينون

ما هذا ياسيدتي ؟

فيدر

ما أحمقني ! اين انا وماذا قلتـه ؟ اين ضلت مني الاماني والحجى ؟
فقدت صوابي : والآلهة هي التي نزعته مني
ان وجهي يا اينون علته حمرة الخجل اذ تركت آلامي المخجلة ظاهرة للعيان والعين غارقة بعبراتها رغماً عني

اينون

اذا كنت خجلة فاخجلي من صمتك الذي يزيد في آلامك ومتاعبك . يثور ثائرك ان رعيناك باعتنائنا وتصم اذناك لحديثنا . اتريدين ان تعجلي على البقية الباقية من ايامك دون رحمة ؟ اي غضب يحول دونها [1] في ميدان السباق عن بلوغ شأوها ؟
خيم الليل ثلاثا وكر عليه النهار ثلاثا فبدده ولم يطرق السكرى لك عيناً مذ رزح جسمك تحت وطأة الألم والسقم دون طعام . ماذا تسول لك به النفس من سيء المقاصد ؟ وبأي حق تريدين ان تفتكي بنفسك مهينة الآلهة الذين تفضلوا عليك بنعمة الحياة وتخونين زوجاً ربطتك واياه عرى العهد والميثاق واولاداً بؤساء يحملون بعدك نيراً قاسياً . اتؤملين انه في اليوم الذي فيه تفارقينهم يتعطف عليهم ابن الاجنبية عدوك

(١) اي دون ايام حياتها

وعدو اسرتك هذا الولد التي حملته (احدى الامازون) [١] في احشائها وهو ايپوليت

فيدر

آه يا رباه !

اينون

هل يجرح عواطفك هذا العتب

فيدر — ياله من اسم خرج اسوء الحظ من فمك

اينون — انك محقة في استمرار غضبك : اذ احب ان اراك وانت مرتعدة من سماع هذا الاسم المنكود . عشت وانعشك الحب والواجب وطالت حياتك لئلا تتألمين من ان يقهر اولادك احد ابناء (السيت [٢]) ويتأمر على اشرف دم في اليونان . تجنبي الكدر والغيظ فان كل لحظة تودي بحياتك واجتهدي في اصلاح ما تلف وانتهك من صحتك وقوتك المضمحلة حيث اوشكت ان تتصرم ايام حياتك ولكنها ستطول وتصبح زاهرة ناضرة

فيدر

لقد اطلت كثيراً هذه المدة الاثيمة

(١) في خرافات اليونان يقولون ان الامازون كانت أمة من النساء وكن يعدمن اولادهن الذكور ويحرقن ثديهن الايمن ليحسن رمي النبال وكن يعشن على ضفاف نهر تيرمودون في كابادوس (٢) امة قديمة متوحشة رحالة كانت تسكن الشمال الشرقي من اوروبا والشمال الغربي من آسيا

اينون

هل يمزق فؤادك تعذير السريرة ؟ ام اي جريرة احدثت لك هذا الاضطراب العاجل ؟ مع ان يديك لم تنغمس في دم بريء

فيدر

انني بفضل الله لم تقترف يداي اثماً وربي راض عني لبراءة قلبي كيديّ

اينون

اي عزم فظيع يرتعد منه قلبك ويرتعد ؟

فيدر

لقد صرحت بما فيه الكفاية : فوفري عليّ الباقي فاني اود لو اموت لئلا اقر باعتراف مشؤوم

اينون

موتي اذن واقبري معك هذا الصمت القاسي وابحثي عن يد اخرى لتغمض منك العينين اذ لم يبق لك الا نور ضئيـل . وستكون روحي البادئة باللحاق بالموتى اذ امامي الف سبيل يوصل اليهم وستختار آلامي اقربها واقصرها

متى غرتك ذمتي ايتها القاسية ؟ الا تعلمين ان ذراعيّ هما اللذان تلقياك عند الوضع ؟ اتجهلين اني فارقت وطني واولادي لاجلك . ابذلك تـكافئين اخلاصي ووفائي

فيدر

اي ثمرة تؤملينها من القسوة والشدة ؛ وانك لترتعدين من فظاعة الموقف ان بحت لك بالامر بعد الصمت

اينون

بربك قولي لي من يطاوعه قلبه ويستطيع ان يشاهدك وانت تسلمين الروح امام ناظري

فيدر

حينما تعلمين اثمي والحظ السيء الذي يثقل كاهلي ترين ان ذلك ليس وحده المسبب لموتي بل علمك بجريرتي يزيدني اثماً وجرماً

اينون

بحق ما ذرفته لاجلك ياسيدتي من العبرات وركبتيك الضعيفتين اللتين الثمهما ان تخلصيني من هذا الشك الممقوت

فيدر

انهضي فلك ما تبغين

اينون

حدثيني فاني صاغية

فيدر

الهي ماذا اقول لها ؟ وبأي طرف افتتح الحديث

اينون

اتحبين ؟

فيدر

نعم ومن الحب عراني ما عراني

اينون

ولمن ؟

فيدر

ستسمعين نهاية القبح فاني احب . . . ولهذا الاسم المنكود ارتجف وارتعد . احب . . .

اينون

من ؟

فيدر

الا تعرفين ابن (الامازون) هذا الامير الذي طالما اضطهدته

اينون

ايبوليت : يارباه !

فيدر

انت التي ذكرت اسمه

اينون

اللهم ان جميع دمي تثلج في عروقي . فياالخيبة الامل والجرم ! ويالأسرة يرثى لها! ورحلة منحوسة هل اقترب منك اذن ايها الشاطئ التعس ؟

فيدر

اتاني مصابي من أبعد من ذلك فاني ما كادت تجمعني وابن (ايجيه [١]) روابط الزواج واستتبت راحتي وسعادتي الا وأظهرت لي (اتينه) عدوي الألد : شاهدته فاحمر وجهي خجلا ثم صار شاحباً بمرآه

ثار بنفسي الحائرة ثائر الاضطراب واصبحت العين لا تبصر ولا أستطيع التكلم وكنت اشعر ان جسمي يتثلج تارة ويحترق طوراً . وقد عرفت الحب ونيرانه المخوفة وما يطاردني به من العذاب الاليم الذي لا يؤمن شره . وظللت اوالي الدعوات لأحيد عما يؤلمني ويؤذيني

بنيت للهوى معبداً واعتنيت بتزيينه وكنت محاطة بالضحايا في كل آونة باحثة بين جوانبهم عن صوابي الضال ولكن الدواء لا ينجع فيما ازمن واستعصى من الادواء . وكنت احرق البخور على المذبح بلا طائل ولا جدوى وعندما يتوسل فمي الى الزهرة كنت اكاد اعبد ايبوليت واراه بلا انقطاع بجانب المذبح الذي كنت ابخره

كنت اقدم جميع مالديّ لهذا المعبود من دون الله ومن لا استطيع ان أسميه فكنت أتجنبه في كل مكان . فيالمنتهى الشقاء اذ كنت أرى ملامح أبيه مرتسمة في وجهه فاضطرب واثور

كنت ابذل الجهد في اضطهاده لأبعد عني عدواً اصبحت أهيم به واعبده واتصنع الحزن والهم كعادة نساء الآباء الظالمات مجتهدة في نفيه

(١) هو تيزيه زوجها

وابعاده . والفضل في انتزاعه من أحضان أبيه راجع الى صياحي المستمر

وقد استنشقت الحياة منذ غيابه وقضيت ايامي في الدعة والسكون خاضعة لبعلي كاتمة عنه قلقي واستثمرت هـذا الثمر من زواجه المشؤوم ولـكن لايغني حذر من قدر !

وحينما ذهبت مع زوجي الى (تريزين) بصُرت هناك بعدوي الذي كنت أفر منه وانفجر جرحي الذي لم يندمل . وليس الحب مختفيا في عروقي بل الحب أجمعه الذي اقتنصني غنيمة له ولم أفلت من مخالبه . وقد سبب لي جرمي فزعا عظيما حتى أبغضت الحياة وكرهت الحب وودت لو أقضي نحبي لأحفظ مجدي وأداري غرامي المشؤوم عن العيون . ولم أستطع ان أوقف دموعك وادفع مقاومتك وقد بحت لك بكل شيء ولا داعي اذن للتوبة حيث اقترب الأجل فلا تؤلميني بعتبك الظالم وان تكفي من اسعادك وغياثك الذي يذكرني بالبقية القليلة من حياتي التي اوشكت ان تنقضي

المنظر الخامس من الفصل الثاني

فيدر — ايپوليت — اينون

فيدر (تخاطب اينون داخل المرسح)

هاكِ من اذا رأيته يهرع جميع دمي الى قلبي وانسى ما أريد ان افاتحه به

اينون

الا تفكرين في ولد لا أمل له الا فيك

فيدر (تخاطب ايبوليت)

يقال ان سفرا عاجلاً سيحرمنا منك ايها الأمير وقد جئت لأشاطرك آلامك وعبراتك ولأشرح لك مخاوفي واشفاقي على ولد اصبح فاقداً لأبيه وسيشهد موتي القريب وان له بالمرصاد الفا من الاعداء يريدون ان يبطشوا بطفوليته ولا احد يقدر ان يحميه من مكائدهم غيرك . ولكن في النفس قلق يضطرب منه فكري وهو خوفي من ان تصم اذناك عن استغاثة ولدي واخشى ان تصب عليه جام غضبك العادل وتتبعه بامه القبيحة

ايبوليت

ليست هذه العواطف الدنيئة من شيمتي يا سيدتي

فيدر

ان كرهتني فلا اشكو منك ايها الامير فقد رأيتني باذلة الوسع في ايذائك . وانك لا تستطيع ان تقرأ في اعماق فؤادي ما حفظته لك من الضغن والحقد ولم استطع ان اجعلك تئن وتتألم ونحن على شاطئ واحد فكدت لك وعملت مافي الجهد سراً وعلناً لابعدك عني وتفصلنا بحار عجاجة وامرت ان لا يذكر امامي اسمك . فلو قيست الاهانة والحالة هذه بالعقاب او كان الحقد وحده يستطيع ان يثير الحقد لما استحقت مرأة الشفقة والحنان وكانت اهلا لما تفرغه عليها من ضغائنك أيها الأمير

ايبوليت

من شيمة الأم ان تكون غيورة على حقوق اولادها فتريتها لا تعفو عن ابن زوجة اخرى الا نادراً . واعرف حق المعرفة يا سيدتي ان الظنون والشكوك الممقوتة هي ثمرة الزواج الثاني . وقد ينالني من غيرك ما لحقني منك من الاهانة بل ربما تحملت سواك ولوكانت اشد وطأة [1]

فيدر

ايها الامير ! اني استشهد الله الذي سمحت قدرته ان اكون مستثناة من هذه القاعدة العامة ولكن قلقاً آخر ينغصني ويفترسني !

---

(١) اي انه لو كان ابوه تزوج بغيرها لاهانته واضطهدته الاخرى كهذه كما هي عادة جميع النساء يبغضن اولاد ازواجهن

ايبوليت

لا اود الآن يا سيدتي ان تزيدين اضطراباً على اضطراب . وربما كان ابي حياً وتسترحم الالهة دموعنا المنسجمة ويمنون علينا بأوبته. رعاه (نيپتون [١]) بعين عنايته ولا اظن ان دعاء ابي وتوسله الى هذا الرب الحفيظ يذهب صرخة في وادٍ

فيدر

لا يُنظر شاطئ الاموات مرتين ايها الامير: وحيث رأى (تيزيه) هذه الضفاف السود فان املك في الآلهة برجوعه يذهب ادراج الرياح . وهيهات ان يفلت الحريص اكيرون [٢] غنيمته

ماذا اقول ؟ لم يمت ابوك قط اذ يحيي واني اتصور اني اشاهد بعلي واحادثه . وقلبي . . . قد ضللت وضاع مني النهى ايها الامير وظهرت حميتي رغماً عني

ايبوليت

ارى حبك مبرحا متيماً . وان كان تيزيه اصبح في عداد الاموات لكنه ما برح نصب عينيك والحب يحرك دائماً ماسكن من آلام نفسك واشجانها

---

(١) اله البحار (٢) في الميتولوجيا انه نهر في جهنم لم يستطع أحد اجتيازه مرتين ويستعمله الشعراء الفرنسيون مرادفا للجحيم

فيدر

اجل ايها الامير واني لأتململ واحترق لاجل تيزيه ولست أحبه [١] كما رأوه في الجحيم [٢] متقلباً متغيراً لاثبات له عاشقاً لالاف واحدة ومن ذهب اخيراً ليدنس عرض اله الموتى بل اهواه امينا معجبا به شيء من القسوة يختطف اللب بجماله فتياً جذابا للافئدة متحليا بما توصف به الالهة او مثلما اراك رأيَ العين . كان شبيهك شكلا وقداً وعينا وحديثا . وحياؤك هذا الشريف صبغ وجهه حين خاض غمار اللجج للوصول الى كريت فكان كفؤاً واهلا لبنات مينوس . فماذا كنت تعمل اذن ؟ ولِمَ لم يقع انتخاب ابطال اليونان على ايپوليت ؟ ولِمَ كنت صغيراً ولم تستطع ان تركب السفينة التي أقلته وأوصلته الى شواطئنا وكنت أنت [٣] الذي

---

(١) تخاطبه بالمواربة وبرمي قولها انه أشبه بأبيه حتى يكادان لا يفرقان وانها لاتحب أحدهما المتقلب الذي كان همه الجري وراء النساء بل تحب ابنه الذي هو بمثابة تيزيه ثان ويمتاز عنه بأمانته واخلاصه وحيائه وجماله وغير ذلك مما سردته في كلامها (٢) في خرافات اليونان ان جهنم موجودة بجزيرة وراء المحيط في الغرب الاقصى في جهة لا تضيئها الشمس ويتخللها اربعة أنهار منها (اكيرون) الذي سبق شرحه واله الجحيم (هادس) وزوجته (پيرسيفون) التي سافر لاختطافها (تيزيه) زوج فيدر وفي الجحيم قضاة لمحاسبة الموتى منهم (مينوس) أبو فيدر ولها حارس يدعى سيربير (٣) تتحسر فيدر ان كان ايبوليت وقت سفر أبيه الى كريت صغير السن ولو كان كبيراً وذهب وقتئذ بدل ابيه لفاز بزواجها ولم تكن عرضة لجميع هذه الآلام والشجون

اهلكت وحش كريت [١] رغما عن جميع تعاريج مأواه الفسيح

وقد سلحته اختي بالخيط المشؤوم بل انا التي سبقتها في هـذا العزم لان الحب انار بصيرتي . فانا اذن ايها الامير التي هدتك السبيل في مسالك (لابيرنت) المضلة . وكم كلفني من الشجون والآلام هذا الرأس الجميل ! ولم يك هذا الخيط ليضمن لك حبيبتك وقرينتك في الخطر الذي ذهبت اليه . وقد أردت ان أسير امامك فتلج معك فيدر (اللابيرنت) لتشاطرك النجاة او الهلاك

ايپوليت

آلهتي ! ماذا اسمع ؟ انسيت ياسيدتي ان تيزيه أبي وزوجك ؟

فيدر

اتحكم على قول فهت به وانا فاقدة الصواب ايها الامير ؟ فهل اضعت مجدي وشرفي ؟

---

(١) نذكرها هنا سيرة تيزيه بالاختصار ليقف القارىء على أسرار هذه الرواية لانها مرتبطة بالميتولوجيا • كان تيزيه أعظم ابطال اتينه وملكها ولد بمدينة (تريزين) وكان أبوه (ايجيه) ملكا لاتينه أيضاً وقد وضع سيفه ونعله تحت صخرة عظيمة وقال اذا ولدت امرأتي (ايترا) ولداً وبلغ مبلغ الرجال يجب عليه ان يعالج الصخرة وحده ليرفعها ويأخـذ السيف والنعل ثم يذهب الى اتيك ليعرفه الناس • ولما شب الولد عند جده (بيتيه) والد أمه وبلغ أشده ذهب الى الصخرة وزعزعها وأخذ سيف أبيه ونعله وسافر الى اتيك وفي أثناء طريقه قطع دابر من قابلهم من قطاع الطريق

ايبوليت

عفواً سيدتي واني مقر والخجل يصبغ وجهي باني اتهمت حديثك البريء بغير حق ولا استطيع من الخجل ان امكث امامك فلذلك ابارحك ...

فيدر

لقد سمعتني طويلاً ايها القاسي وقلت لك ما فيه الكفاية لانتشالك من هذا الضلال ! اتعرف اذن فيدر وغضبها : قد شغفني الحب . ولا

والوحوش ولما وصل الى أبيه أرادت امرأته الاخرى (ميديه) ان تسمه فكشف سرها زوجها وطردها وشارك ابنه معه في الملك ودافع تيزيه عن أبيه ضد (البالانتيد) وذلل ثور ماراتون وضحاه (لاپولون) ثم سافر الى كريت ليخلص أهل أثينه من الجزية الفظيعة التي كانوا يدفعونها الى (مينوطور) وهو وحش نصفه ثور والنصف الآخر رجـل حملت به (پاسيفاييه) زوجة مينوس من ثور أبيض أرسله (پوزيدون) اله البحر ثم حبس مينوس هذا الوحش في (لابيرنت) الذي بناه (ديدال) وكان يطعمه لحم الانسان لانه عقب احدى الحروب التي قتل فيها ابنه اندروجيه أراد ان ينتقم ويثأر لابنه بان ضرب على الآتينيين جزية سنوية وهي سبعة غلمان وسبع فتيات كواعب تقدم طعاما لمينوطور • ولما وصل تيزيه الى لابيرنت قابلته اريان ابنة مينوس وناولته خيطا كان يستعمل بمثابة دليل للداخل في لابيرنت لئلا يتيه ويضل لتشعب مسالكها العديدة فقتل تيزيه مينوطور وركب البحر مع اريان ثم هجرها على شاطىء ناكسوس فرمت بنفسها في البحر يأساً . ثم اختطف ملكة (الامازون) وقد سبق ذكر هـذه الامة واسمها (انتيوپ) ورزق منها بايپوليت . ثم ذهب الى الجحيم ليختطف زوجة الهها (هادس) ولكنه لم يفلح هذه المرة • ثم تزوج اخيراً بفيدر ابنة مينوس وجرى مانحن بصدده

تفكر اني في الوقت الذي احبك فيه اعد نفسي بريئة . كلا واني واثقة بزلاتي ولا تظن ان مجاملتيَ الفاضحة هي التي ولدت آلام هذا الحب الذي خالط مني الحجى

انتقمت مني الآلهة بان سلطت عليّ هذا الحب واني امقت نفسي اكثر مما تبغضني كما تشهد الآلهة الذين اشعلوا نار هذا الحب المنكود في دمي . ظن هؤلاء الأرباب انهم اتوا بمجد عظيم بان فتنوا فؤاد امرأة ضعيفة فانية

يذكرك الماضي باني كنت اطردك لأهرب من حبك أيها القاسي وكنت استثير حقدك لأقاوم حبك ولكن كل ذلك لم يجد نفعاً فانك كلما زاد بغضك لي زاد حبي لك وكانت مصائبك لي فتنة وسحراً جديداً

ضنيت ونحلت من نار الهوى والبكاء ويكفي لأقناعك ان تشاهدني بعينيك ان استطاعتا ان تحدقا في وجهي . فماذا تقول في هذا الاعتراف المخجل وهل تظنه اراديا ؟

جئتك مضطربة راجفة لولد لا اقدر ان ابغضه متوسلة اليك ان لا تحقد عليه ولكن لكون القلب مفعماً بالحب اهمل عزمه فلم اتكلم الا عنك ؛ فانتقم واقتص مني لهذا الحب الممقوت وخلص العالم من وحش يغيظك لتكون اهلا لأبوة بطل عظيم اوجدك في الدنيا

اتقدم أرملة تيزيه على حب ايپوليت ؟ اتظن انني هذا الوحش الهائل الذي تفر منه . هاك قلبي وهو الموضع الذي يجب على يدك أن

تطمئنه . فرغ مني الصبر لتكفير الاهانة واشعر بأن قلبي يتقدم نحو ذراعك
اضرب والا ان ظننت انه ليس اهلا لضربتك او كان حقدك
يحسدني على هذا العذاب الذي استعذبه واستمرئه أو كنت تستنكف ان
تدنس يدك بدم حقير فاعرني سيفك ان اعوزني ذراعك

اينون

ماذا تصنعين يا سيدتي ؟ قد اقبلت الناس فتداركي ان يلمح احد
على وجهك ما ارتسم عليه من هذه الشهود الممقوتة فهيا ادخلي واهربي
من هذا الخجل البين

المنظر الثالث من الفصل الثالث

فيدر — اينون

اينون

ينبغي لك ان تمدي من مخيلتك فكرة حب لاطائل منه يا سيدتي
واذكري فضيلتك السابقة فان الملك الذي ظن انه مات سيظهر امام
ناظريك اذ أقبل تيزيه وهو الآن في هذه المواطن والشعب يحتشد ويعدو
لرؤيته وحينما خرجت اتباعا لاشارتك لأبحث عن ايپوليت شاهدت
آلافا من الأصوات بلغت عنان السماء . . .

فيدر

زوجي حي يا اينون وكفى وقد اعترفت اعترافاً دنيئاً يجب يهينه ويفضحه. انه عائش ولا ابغي ان اعرف اكثر من ذلك

اينون

ماذا ؟

فيدر

لقد انبأتك به ولكنك لم تصدقيني . وقد تغلب دمعك على تحذير سريرتي وسأموت هذا الصباح واكون اهلا لان تبكيني العيون اذ اتبعت ارشادك وسأقضي نحبي فاقدة شرفي

اينون

تموتين ؟

ايها الاله العادل ! ما [illegible] والمتا[illegible]ر بعلي لام الس[illegible]ه وسأرى كيف يبصرني شاهد [illegible] شو لا [illegible] جبين استطيع لقاء ابيه وقلب منعم [illegible] ات [illegible] في [illegible] نه [illegible] تماعها وعين مغرورقة بدموع مل منها و[illegible] . اتظنين انه [illegible] ابيه ويكتم عنه هذه الحمية التي اهاجت مني كامن ال[illegible] خيانة ابيه وملكه ؛ اتراه يستطيع ان يضبط ما عنده من [illegible] ؟

سيلتزم الصمت بغير جدوى واني اعرف خيانتي يا اينون ولست من النساء المستهترات اللاتي نضب منهن ماء المحيا فلا يبالين بالفضائح والمعرات

ويستمرئن مرعى الجرم ويذقن فيه الدعة والسلم حتى عرفن ان يحملن جبينا لا يضرّجه الخجل

اني اعلم حدتي واذكرها ويخيل اليّ ان هذه الجدران والقباب ستنطق وتتهمني منتظرة بعلي لتوقفه على حقيقة الامر . فلنمت لتخلصنا شعوب من جميع هذه الاهوال

هل الموت مصيبة عظمى؟ كلا فانه لا يحدث اقل فزع للتعساء المنكودين ولا يعبأون به. ولست اخشي غير الاسم الذي اتركه بعدي ميراثا مروعا لابناء عثر بهم الجد!

ان دم (المشترى) يجب ان يجرئهما اذ يحق لهما ان يفتخرا بنسب عظيم . ولكن اثم الأم [illegible] ثقيل واخاف ان يميرهما احد بجرم والدتهما يوماً ما فيض [illegible] ذا الحمل الـ [illegible] ولا يستطيع احد منهما ان يرفع عينيه من الخجل

اينون

هذه [illegible] ريب فيه واني مشفقة على كليهما كما انك محقة بوجلك العادل . ولكنك تعرضينهما لاهانة يا لها من اهانة وتشهدين على نفسك معترفة بجريرتك [illegible] وان تم ما انت عازمة عليه يقولون ان فيدر اتت عظائم الأثم والجرم وهي تنزيه امام زوجها المغدور ومرآه المرعب . وسيهنأ ايپوليت بموتك اذ به يؤيد قوله . ماذا استطيع ان اجيب به متهمك؟ اذ سيفحمني بسهولة واراه متمتعاً بهذا النصر الفظيع ويقص خزيك على

من اراد استماعه . آه ! اولى بي والحالة هذه ان تمحقني صاعقة من السماء ولكن أصدقيني ان كان لم يزل عندك معززا ؟ وبأي عين تنظرين هذا الامير الجريء

فيدر

اراه امام ناظريَّ كوحش مزعج

اينون

ولم تتنازلين اليه عن نصر تام ؟ اتخشينه : الا تطاوعك الجرأة بان تكوني السابقة في اتهامه بالجرم الذي يستطيع اليوم ان يلصقه بك . ومن يفند قولك ؟ والكل يعاونك على اتهامه . وحبذا الدليل الذي يؤيد قولك ان ترك لحسن حظك سيفه بين يديك وعلم ابوه من امد مديد بما سببه لك من الاضطراب الحاضر والمتاعب والآلام السابقة ونفاه وفقاً لأرادتك

فيدر

ما أشد جرأتي اذن على اضطهاد البراءة وتعكير صفوها

اينون

ان همتي ليست في حاجة الا لصمتك واني مثلك ارتعد من تبكيت الضمير وستبصرينني مسرعة في اقتحام الف موتة . وحيث لا سبيل الى نجاتك من مخالب الموت غير هذا الدواء المحزن تريني اضحي لاجل حياتك كل مرتخص وغال . وساخاطب تيزيه حتى اذا هاج هائجه من ارشادي

قصر انتقامه على نفي ابنه والوالد ياسيدتي حينما يعاقب يكون كما تعهدينه رؤوفاً رحيماً ويكفيه خفيف القصاص لتسكين غضبه

ولو قدر وسفك دمه فانه يكون فداء لشرفك المهدد . وان الابن لكنز ثمين لا يستطاع الفتك به . فاطيعي اذن جميع ما يتطلبه منك شرفك يا سيدتي اذ لاجل نجاته مما حاق به يجب عليك ان تضحي لاجله كل شيء حتى الفضيلة . قد اقبل الناس وارى بينهم تيزيه

فيدر

آه. اني اشاهد ايپوليت وارى فنائي مسطراً في عينه الجامدة الوقيحة. فاعملي ما شئت فقد فوضت اليك الامر اذ ذهب صوابي من اضطرابي

المنظر الثاني من الفصل الرابع

تيزيه — ايپوليت

تيزيه

آه ! ها هو ايها الارباب العظام ! واي عين لا تنخدع مثلي في هذه الهيئة الشريفة ؟ هل تتلألأ على جبين الزاني النجس سيما الفضيلة المقدسة ؛ الا تعرف بالدلائل الصادقة قلوب الخائنين

ايبوليت

ايتيسر لي انّ اسأل الامير عما كدر صفوه واكفهر منه وجهه الجليل ؟ الا تستطيع ان تثق بي وتأمنني على هذا السر

تيزيه

اتجسر ايها الخائن ان تظهر امامي ؟ لم تركتك الصواعق امداً طويلاً ايها الوحش الضاري والبقيـة النجسة من قطاع الطرق الذين طهرت منهم الارض . وبعد ان قادتك حدة حبك الفظيع الى مضجع ابيك تجترىء ان تريني وجهاً اقبح من وجه العدو ! اتظهر في مواطن ملئت بفضائحك بدلاً من ان تبحث لك عن بلد مجهول لم يصلها اسمي . اهرب ايها الغادر ولا تقدم على حقدي واهاجة غيظ لا اكاد اضبطه وكفاني عاراً ابدياً ان اوجدت في الدنيا ولداً اثيماً مجرماً . وان قتلك ايضاً يكون لي ذكرى مخجلة تدنس مجدي وجليل اعمالي

اركب متن الفرار ان كنت تريد ان تنجـو من قصاص مفاجىء يلحقك بالمجرمين الذين اقتصت منهم يدي هذه وحذار ان تراك الشمس التي تضيئنا واطئا بقدمك الجسورة هذه الاماكن. عجل بهربك دون ان تؤمل العودة لتطهر ممالكي من مرآك الشنيع

وانت يانبتون ، اتذكر ان شجاعتي التي قطعت بها دابر العور من سفاكي الدماء وطهرت منهم شاطئك . وقد اردت ان تكافئني على ما بذلته من الجهد بان تستجيب لي اول دعاء . ولم اتوسل اليك لتنقذني من شدائد السجن

القاسي اذ كنت حريصا على معونتك واسعادك فارجأت دعائي وادخرته لما هو اهم واعظم . فالآن ابتهل اليك ان تنتقم لاب سيء الحظ وقد تخليت عن هـذا الخائن وتركته لغضبك فاخنق ما جرى في دمه من وقبيح الآمال . وسيعترف تيزيه بافضالك ونعمك عند ما تستشيط غضبا

ايبوليت

اتهم فيـدر ايبوليت بحب اثيم ! يا لمنتهى الفظاعة التي حارت منها النفس . كم من ضربة لم تكن بالحسبان تثقل كاهلي وتلجم لساني وتخنق صوتي

تيزيه

اتزعم ايها الخائن ان فيدر تطوي وقاحتك الوحشية في زوايا الصمت الفاضح : كان الأجدر بك عندما هربت من امامها ان لا تترك سيفك اذ هو بين يديها مساعد على نفي قولك بل كان خليق بك ان تزيد جرمك بان تجهز على كلامها وحياتها

ايبوليت

لقد هاج غيظك من كذب ممقوت وكان الواجب عليّ ان انطق بالحقيقة ايها الامير ولكني اغض الطرف من سر يمسك فيضيق صدري ولا ينطلق لساني . فارض بالاحترام الذي يطبق فمي بدون ان تزيد في همومك بيدك وألق نظرة على حياتي وافحصها وفكر من انا . افاتك ان الجرائم العظيمة تسبقها اصغر منها. ومن يستطيع ان يتعدى الحدود الشرعية

او يخرق حرمة الحقوق المقدسة . والجرم كالفضيلة له درجات اذ لم يسمع ان البراءة الحيية انتقلت فجأة دون استدراج الى منتهى الوقاحة والضلال. ويوم واحد لا يصير صاحب الفضيلة خائنا قاتلا نذلا يأتي المنكر مع محارمه

حملتني في احشائها طاهرة عفيفة من الشجاعة والاقدام بمكان رفيع فلم اكذب دمها واظلمها. وكان بيتيه موصوفا بالكياسة والذكاء بين جميع العالم وقد تفضل بتهذيبي واني لا اود ان اصف نفسي باكثر من ذلك. واظن يا اميري ان حظي الذي احرزته من الفضائل هو الذي اشمل الحقد عليّ فرموني بهذه الكبائر الفظيعة . وان ايبوليت لمعروف في جميع اليونان بانه بلغ منتهى الفضيلة وانك تعرف من شجوني ثبات عزيمتي في الشدة والجفاء وليس النهار بأنقى من قلبي . ابعد ذلك يريدون من ايبوليت ان يفتتن بنار حب دنس

تيزيه

نعم وهذا الكبر والأعجاب هما اللذان اوقعاك في شر عملك ايها النذل ! وارى في جفائك وانفتك المبادىء الشنيعة : اذ فتنت فيدر وحدها عينيك الوقيحتين وكانت نفسك خالية البال عمن سواها مستنكفا ان تحترق لاجل حب بريء حلال

ايبوليت

لا يا ابت فان هذا القلب كتم عنك كثيرا هواه البريء ولم يستنكف ان يلتهب منه واني اعترف بين يديك بهفوتي الحقيقية: اني احب واهوى

رغما عن دفاعك وقد استرقتني اريسي وصار ابنك اسيرا لابنة بالانت . شغفني هواها واصبحت نفسي عاصية لاوامرك لا تتأوه ولا تحترق الا لاجلها وحدها

تيزيه

اتحبها ؟ إلهي ! لا لا فتصنعك شنيع: تتظاهر بالجرم وتتكلف لتبرر نفسك

ايبوليت

منذ ستة شهور واني اتجنبها واحبها : وقد اقبلت اليك مرتجفاً لاطلعك على امري . عجبا ! مالي اراك لا يؤثر عليك شيء لانتشالك من اوهامك ! فاي يمين هائل تصدقه ؟ ابالارض ام السماء ام جميع الدنيا . . .

تيزيه

يلجأ المجرمون دائما الى الحلف الكاذب فأقصر ووفر عليّ حديثا ممقوتا اذا لم يكن لفضيلتك الكاذبة معين آخر

ايبوليت

اتظهر لك فضيلتي بانها كاذبة ومفعمة بالتصنع : مع ان فيدر نفسها يناجيها قلبها بانصافي وتبريري

تيزيه

آه ! ما اشد وقاحتك واقواها تهييجا لغيظي !

ايبوليت

ما الزمان والمكان اللذان تحددهما لنفيي وأبعادي

تيزيه

اتذهب الى ما وراء (اعمدة السيد) واظنها قريبة بالنسبة لغادر

ايبوليت

اذا كنتُ أهمل جرما فظيعاً تتهمني به فأي صديق يرثي لحالي ان تخليت عني وهجرتني

تيزيه

اذهب لتفتش عن صحاب يشرفون الزنا ويستحسنون اتيان المنكر مع المحارم اذلا يحمي خبيثاًمثلك الا كل خائن كنودعاطل من الشرف والدين

ايبوليت

ما برحت تحدثني عن الزنا وهتك المحارم : اني ملازم السكوت . وان فيدر ولدتها ام وهي ايها الامير من دم تعرفه حق المعرفة وله من الفضائح والمعرات اكثر مما عندي

تيزيه

بخ بخ ! اتخرجك حدة غضبك امام عيني عن حد الاعتدال؟ فاغرب من وجهي للمرة الاخيرة . اخرج ايها الخائن الغادر ولا تنتظر من اب يتميز من الغيظ ان يطردك من هذه الأماكن مهاناً مرذولاً

المنظر السادس من الفصل الخامس

تيزيه ـ تيرامين

تيزيه

اهذا انت يا تيرامين ؟ ماذا صنعت بابني وقد عهدت به اليك منذ نعومة اظفاره ؟ ولكن ما الذي يسيل منك هذه العبرات وماذا عمل ابني ؟

تيرامين

يالعناية فات وقتها ولا حاجة اليها؛ حنان لا يجدي! اذ فارقكم ايبوليت

تيزيه

آلهتي !

تيرامين

ما رأيت احدا مات اكثر منه حباً لدى الناس . واتجرأ ان اقول لك ايها الامير انه اخف الناس ذنبا

تيزيه

هلك ابني ؟ عجبا ! متى امد اليه ذراعيَّ لمعانقته ؟ هل نفد صبر الآلهة وعجلوا بموته ، اي ضربة اختطفته مني ، ام اي صاعقة مفاجئة

تيرامين

لم نكد نخرج من ابواب تريزين وابنك راكب عجلته وحرّاسه تعلوهم الكآبة ملتفون حوله مقلدون صمته فسار وهو فريسة الشجون والهموم في طريق (ميسين) وقد ارخت يده العنان على ظهور خيله . ولما كانت جياده الحسان كما عهدها الناس ملئت حمية لبت صوته

وزاغت منها الأبصار وطأطأت الرؤوس يحسبها الانسان انها وفق فكره الحزين اذ خرج من اللجج صوت مزعج عكر صفو الهواء فأجابت الصافنات الجياد هذا الصياح المرهب بصهيلها فتثلج دمنا في اعماق افئدتنا وانتصب شعر أعراف الخيل وارتفعت على ظهر اليم لجة كالطود واقتربت ثم تكسرت وقذفت بين الزبد وحشاً هائلاً عريض الجبين مسلح الرأس بقرنين مزعجين وجسمه مغطى بقشور مصفرة كأنه ثور صعب المراس او تنين عظيم البأس . التف عجزه فاحدث ثنيات مموجة ملتوية . وقد ارتجف من هول زئيره الشاطيء ومادت الارض واوبأ الهواء وتقهقرت اللجة التي حملته وهي مروعة منه وهرب الجمع والتجأ الى المعبد المجاور دون ان يتسلحوا بشجاعة لا تغني ولا تنفع ولبث ايبوليت وحده فكان اهلا لان يكون ابناً لبطل حلاحل . فأوقف خيله وقبض على حرابه وطعن الوحش بيد لا تخطىء طعنة نجلاء اصابته في عطفه طفر من حر ألمها الوحش ووقع زائراً تحت اقدام الجياد متمرغا مظهرا فماً ملتهبا فغطاها بنار ودم ودخان فاخذها الفزع وصمت آذانها هذه المرة عن استماع الزجر ولم يغن صاحبها ما بذله من الجهد لكبح جماحها حتى كلَّ ساعده وخارت قواه وضرّجت الخيل اللجم بما يخرج من افواهها المزبدة الدامية ويقال انه شوهد في هذا الهرج الهائل اله يضغط على جنوب الخيل المغبرة بمهمازه وهوى بها الوجل بين الصخور فقرقع محور العجلة وانكسر وشاهد البطل ايبوليت عجلته وهي تتحطم ارباً ارباً ووقع هو بنفسه والتفت عليه الاعنة .

فاعذرني لألمي ومصابي : فان هذا المنظر القاسي سيفجر ينابيع الدمع من شؤوني فلا تجف مدى العمر . وقد نظرت ايها الامير ولدك البائس تجره الخيل التي اطعمها بيده وكان يود لو يذكرها بحسن صنيعه ولكن صوته كان يزيد في ازعاجها واستمرت في عدوها حتى اصبح جسمه داميا كأنه جرح . وقد ملأنا السهل بصياحنا واستغاثتنا ثم هـدأ قليلاً جماح الجياد ووقفت على مقربة من المقابر العتيقة التي كانت بالملوك اجداده ذخائر باردة جامدة . فهروات اليه متأوهاً وتبعني حرسه وهدانا اليه ماخطه دمه الشريف على الصخور واخذ العوسج الممقوت من خيله جلباباً داميا . ولما وصلت اليه ناديته فمد الي يده وفتح عيناً مائتة ثم اطبقها فجأة وقال :

« قضى الاله بان ينزع مني حياة بريئة فارع بعد موتي (اريسي) الحزينة البائسة بعين »
« عنايتك أيها الصديق العزيز وان تبين الرشد من الغي لابي يوماًما ورثي لمصيبة ابن »
« اتهم كذباً وظلماً فقل له ان أراد ان يلطف دمي وخيالي الشاكي »
« فعليه ان يرأف بأسيرته ويعاملها بالرقة والحنان ويرد اليها . . . » وعند هذه

اللفظة اسلم الروح هذا البطل ولم يترك بين ذراعي الا جسما مشوهامُمثلاً به . فيالمسكين يرثى له ظفر به غضب الآلهة حتى ان عين أبيه تنكره

تيزيه

واولداه! واأسفاعلى أمل عزيز فجعت به! يالآلهة لايسكن غضبها ولا ترحم قلوبها ومن استعبدتني أمداً طويلاً ! مدت في حياتي لتذيقني هذه الحسرات القاتلة!



فهرست

صحيفه

صحيفة




Bibliotheca Alexandrina
04220732